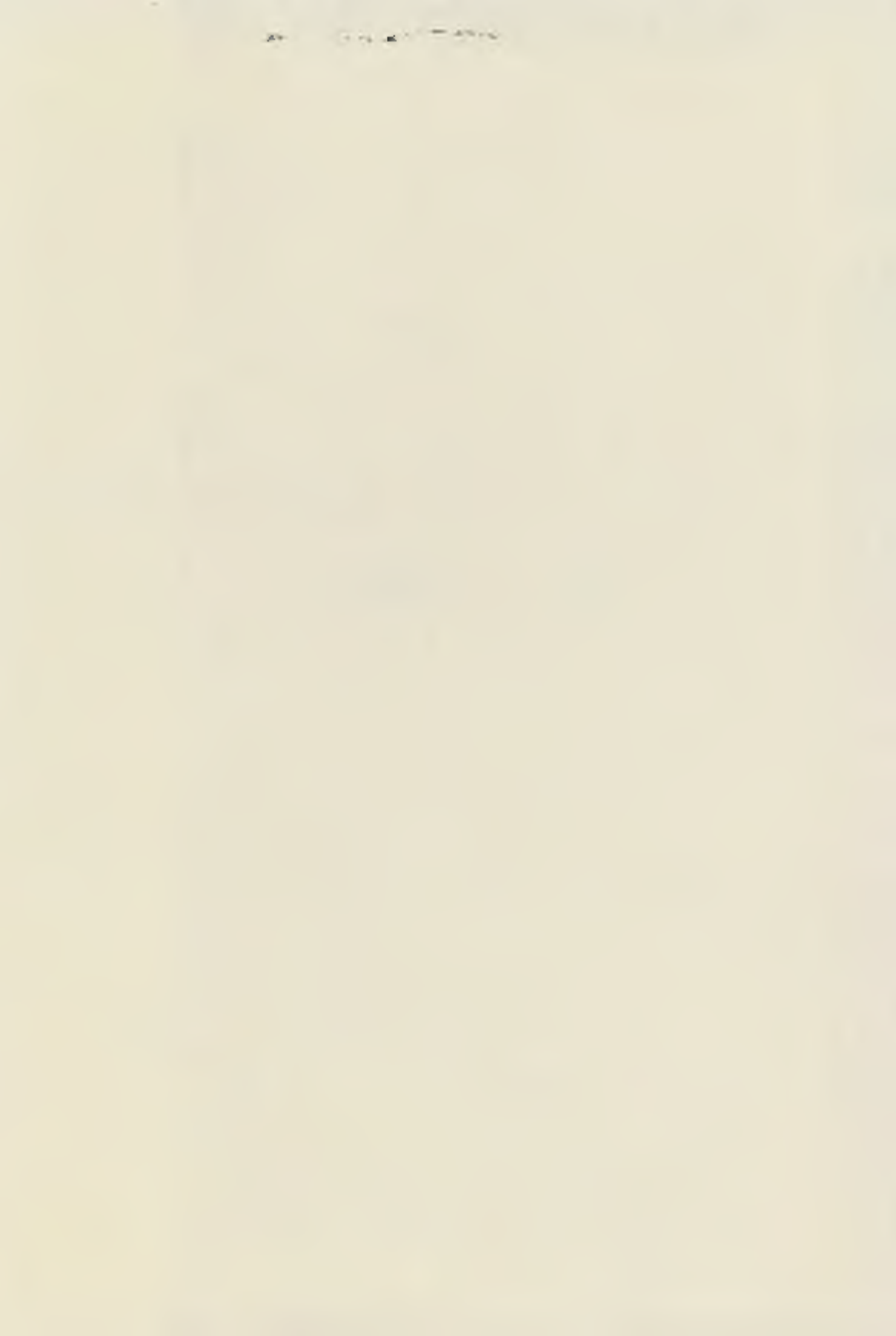


RECA



Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

--	--

محمد الحسين الظفر

الشَّيْعَةُ وَالْإِمَامَةُ

إصدار
مكتبة فينوي الحديثة
طهران ناصر خسرو مروي



محمد الحسين المظفر

الشَّيْعَةُ وَالْإِطَاقَةُ

مكتبة فينوي الحديث

المقدمة (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

- ١ -

لقد تم للجنة - والحمد لله - ما كانت تصبو اليه من تأليف كتب في فنون شتى تستطيع بها أن تأخذ بيد القارئ الكريم لتدله على مفاتيح الخزانات الاسلامية التي كانت مغلفة في وجه الباحث المتطلب .
واللجنة لا تدعي لنفسها بأنها فعلت كل ما ينبغي ان يفعل في مثل هذه الظروف التي طغت فيها التيارات المادية فأنت الناس ذكرى الاسلام ، ولا تدعي انها اغنت الباحثين عن النظر في تلك الخزانات القيمة ، وانما هي تقول - وحسبها ذلك - إنها ستضع ايدي الباحثين بهذه الكتب على مفاتيح تلك الخزانات .

- ٢ -

وهذا كتاب (الشيعة والامامة) الذي كان من رغبة اللجنة ان يتقدم

« » عن المجمع الثقافي للدينى لمتدى النشر .

امام كتبها ، وذلك لأنه اول كتاب يتم تأليفه بعد تشكيل اللجنة بقليل ،
وقد التي في خمس محاضرات في خمسة اسابيع ، ولأن موضوعه يهم العالم
العربي اليوم ، العالم الذي يجهل من امر الشيعة كل شيء ، فيستقي مبادئها
من كتب اعدائها ويرميها بكل ما تبرا منه .

قلت وهذا كتاب (الشيعة والامامة) على صغره فتح الباب عن جميع
النواحي الحيوية في الامامة ، ودانا بوثوق واطمئنان على ما تعتقد الشيعة
الامامية في أئمتهم ، وعلى ما يجب ان يكون الامام عندهم ، مستدلا على
ذلك ببعض ما تبسر من الأدلة ، التي يعود معظمها الى العقل ، وهو مع
ذلك محتفظ بالعرض التاريخي للعواضيع التي درسها في حنايا الكتاب
باسلوبه الخاص .

والشيخ المؤلف عالم متفنن ذو شخصية محبوبة تشع بالجاذبية للنفس
وتشع بالاخلاص والايمان والعقيدة .

تجلس اليه فيحدثك فيما يروقك من الحديث ، يحدثك في التاريخ وفي
الكلام وفي الفقه والاصول وفي الادب العربي ، بنفسه دائرة معارف
قديمة تجمع كل ماله وطاب من فنون العلوم .

يعجبك منه شغفه الغريب في التذبح والتحقيق والتأليف والمحاضرة ،
والتأليف على الاخص في فنون حمة تهم اكثر من غيرها ، كلها تمت الى
مبدئه - أو قل مذهبه على الاصح - بأوثق الصلات ، واذا استعرضت
مؤلفاته تجد فيها - الشيعة والامامة - الامام الصادق عليه السلام - تاريخ
الشيعة - الشيعة وسلسلة عصورها مذهبيا - ميثم التمار - حديث الثقلين -
نفس النبي - الى ما شاكل ذلك مما يرجع الى مبادئ الشيعة الامامية ، فهو
يكاد أن يكون متخصصا بهذه الفنون ، واذا اردنا أن نعلل ذلك عدنا به
الى بيئته الخاصة والى ما شاهد من جهل المسلمين في الشرق وبعض

المستشرقين مبادئ الشيعة الامامية - أو تجاهلهم على الاصح - والتعصب عليها من دون ان يكون لهم أي مبرر .

واللجنة اذ تقدم الشيخ في هذا الكتاب إنما تقدم شيخاً كبيراً اوسع الكتب القديمة درساً وبحثاً واستخرج منها هذه الحقائق الواضحة ، وهي فخورة بانها استحققت جل عنايته حيث تفضل بقبول رئاستها ، وحيث تفضل بتشجيع اعضائها على المناظرة في نادية رسالتها المقدسة ، والحق ان الشيخ مثال للجد والفضيلة قليل النظير ، كثر الله في المسلمين امثاله .

١٥ ربيع الاول ١٣٦٥ هـ

مقرر اللجنة



« بسم الله الرحمن الرحيم »

وله الحمد والمجد وصلاته وسلامه على الصلوة من البشر محمد وعترته الأئمة العرر

الشيعة

في معاجم اللغة ان الشيعة بمعنى الابعاد والاصدار ، فاذ قيل : شيعة لرجل عي بهم اتباعه واصباره ، والشيعة تصلق على الجمع والتشبة والمفرد والمذكر والمؤنث ، وهي من المشايعة بمعنى المطوعة والمتبعة .

وعند ذكر المعاجم لهذه الكلمة نقول : وقد علب هذا الاسم على من يتولى عليا وبنيه عليهم اسلام ، حتى صار اسماً خاصاً لهم ، فاد قيل : لان من الشيعة عرف انه منهم . وفي مذهب الشيعة كذا اي عدمه .

ولم تنفرد معاجم اللغة بهذا القول ، بل شاع ذلك في كتب التاريخ والمثل والنحو والكلام والفقه وما سواها ، حتى قال ابن خلدون في مقدمته ص ١٣٨ : اعلم ان الشيعة لغة هم اصحاب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من خلف واسلف على اتباع علي وبنيه « رهص » وليس هذا مما يحتاج الى مراد يد ، وانما لشر في ان يفقه أن

التشيع متى بع وانتدأ ، ومن الذي انتدأ في استعمال كلمة « الشيعة » بهذا المعنى وقد يطل أن تعيين ذلك أمر من ودعت المستعمل قد يصعب على الباحث ، ولكن بعد الوقوف على مجاء عن سيد الرسل صلى الله عليه وآله من قوله في حديث : يا علي انت ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، وقوله من حديث : واحد ولدك يحجرتك واحذ شيعة ولدك يحجرهم ، الى كثير من امثله تعرف ان الذي خص هذه اللفظة بأولياء امير المؤمنين المرتضى وبنيه بعد عمومها لكل تابع وصير هو صاحب الرسالة ، ومنه تعرف ايضاً ان للعترة شيعة وأولياء من ذلك اليوم ، والمعروف منهم من

أقطاب الصحابة من شار إليهم بأسان ، أمثال سلمان والمقداد واني زرار
وعمار وحذيفة وجابر واني أبوب وخلق كثير سوانهم . وقد استقرينا
المحت عن هذا في كتابنا - تأريخ الشيعة - « ١ »

ادن فرسول الله صلى الله عليه وآله هو لدى دعا الى هذه الفرقة
وسجعل لاهل البيت اولياء ، وشيعة - ادا صحح ان سميهم فرقة تبعاً لما يريد
ان يسميهم كذلك ، وانما لصحيح ان الاسلام بي على الولاء لآل البيت
لحمته على اندعهم والاعتصام بحمهم والتمسك بهروثهم ، وتبشيرهم بحسن
المقلب ، والقرآن الكريم دل على ذلك في عدة آيات . مثل قوله تعالى
« انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون . ومن يقول الله ورسوله والذين آمنوا هم حرب
الله هم العالمون » وفوقه سبحانه « قل لا اسألكم عليه اجراً الا الدودة في
القربي » وقوله عز شأنه « وقفوه بهم مسؤولون » وقوله تعالى اسمه
« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم »
وآية المناهضة وآية التطهير وغيرها الكثير ، وقد ذكرنا شطراً من هذه
الآيات وفيها من احادث صاحب الرسالة اى تدعو الى اولاء في كتابنا
« الشيعة وسلسلة عصوره » « ٢ »

وبعد هذا فالشيعة وفق دعيت كل من مدار سوى فايل منها ، وقد
استوفاهم للونجي في كسبه - وفق الشيعة - ونسب بعض المؤلفين في
انكلام والملل والتحليل من أهل السنة لبعض تلك لفرق مقبالات طاهرة
الشذوذ ، واستهدف بعض الكتبة منهم عقلة أو عمداً - الشيعة عامة ورمهاها
بذلك لشذوذ وحرى الخلف في القدرح على سن لسلف ، وكيف حيي
على أولئك وهؤلاء ان الشيعة فرق ومذاهب ، وان لكل فرقة آراءها
واقوالها ؟ ومن احييف ولطم ان تنسب للجميع آراء اولئك الشداده منهم .

« ١ » قد حرج من المطبعة سنة ١٣٦٨ .

« ٢ » لا يزال مخطوطاً .

ونحن لا نريد من كلمة الشيعة فيما كتسابهم وكتبه الا الامامية خاصة، وهم الذين قالوا امامة الانبي عشر من اني الحسن الى ابن الحسن، وهم اليوم جل الشيعة وأهل الرئي والتأليف والرعاية الدينية في الاقطار الاسلامية ولا يتجه على الامامية ما قد ولت لكثرة في نقد الشيعة لهم في الحوار، ون وحدث احيا تحييت عن ذلك انفر فلان فيه برآ وتوجيها الى الشيعة عامة دون تعيين لفرقة، ولو استطردت بعض كتب لاوائ في الفرق والكلام والمقالات وبعض كتب الاواخر في نكتته عن الشيعة لتحتل بك عياناً أن انفر واندر في الشيعة، كان معنياً لاوائل وعلى ذلك الونر صرب الأواخر، دون تهم وترث .

ألا قرت عيون من صب لعداء للامة المسعفة المسكينة بي اشغلها الخصام بها عن لوقوف دون الاسلام دريعة عن انقوائ ، ولهاها الجدال بين رحاها عن أن تمثله بالعالم كما يستحقه من اجلال واكمار ، وكما يدعو اليه كتابه من الحياة السعيدة ولطم الاحتفائية والاحلاق لسامية ، فان لاسلام لم يكن دينا بدعو الى لاخرى فقط ، بل يريد من نبيه ان يظهروا ، تظهر لاسان لكامل في حصاه ووعده ، وان يجمعوا بين السعائين والحياتين .

الامامة عند الشيعة

ما كان لقول بالامامة دعاً من الشيعة ، فان فرق الاسلام كلها فائقة بوجوب الامامة ، بل هي من لصرورات انظرية عد الجميع بيد ان الشيعة اختصت بآراء في لامام ، أهمها اختصاص الامامة بالانبي عشر علي وبنيه مع القول بصمتهم ، وستقرأ بعض تلك المرايا خاصة في هذا السهر .

ولو لم تكن الامامة فرضاً لدى عامة المسلمين ما انقادوا للحلفاء الاول وانعوا الملوك الذين تسنموا العروش باسم الخلافة كملوك امية وبي العباس وغيرهم ، ومعوا من مخالفتهم والخروج عبيهم والقدح فيهم . لانهم حلفاء

وأولو الامر الذين امر الله بطاعتهم كما أمر بطاعته وطاعة رسوله «ص»
ولو لم تكن الامامة ضرورية بالفطرة لما نادر شرط من الناس الى اجتماع
السقيفة لمصب الخليفة عن النبي لثلاثي الامة بالرئيس فتصبح ووصى و
لا يصلح لباس ووصى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
وهذا امر مع الفطرة يحكم به لعقل ويعصده لقل ، لظها بالعباد
وحفظا للشريعة من العت والتلاعب .

فكان من الظلم ان ترى الشيعة يدب الطعن لغوهم بالامامة ، بعد أن
كانت مذهب أهل الاسلام عامة ، كما ان ليل مهم لاهم لا يرور امامة
لسوى الاثنى عشر حبيب آخر ، فامدا لا يتجه لظن لمن لا يرى امامة
الاثنى عشر خاصة ورأى امامة غيرهم ، وما ذنب من ارشده الدليل الى
امامة هؤلاء الاثنى عشر دور سوائهم .

غير أن من الحق أن يسأل الشيعة عما عندهم من الدليل على هذه
الامامة الخاصة - وليس في الحق مقصدة - وما رالت كتب الكلام من
بده البحث عن الامامة حتى اليوم تحيب على هذا السؤال بافصح بيان ،
ولهم عليها ادلة مسطورة ، نصيف اصحف عن استيعابها ، ولا يريد ان
يعيد ما ذكره من الآيات والروايات دليلا على ما ذهبت اليه ، فان فيه
اعادة لبحث ملته العصور فلا يرجع اليه من اراد الاستقصاء وانما يهمنف
ان تأتي هنا بما دس على الامامة من دليل العقل خاصة بموحر من البيان ،
وسوف تقرأه من العناوين الآتية :

مبدأ الخلاف في الامامة

بعد اتفاق الفرقتين على ضرورة الامامة ،
رأت الشيعة انها بالنص من الله تعالى ، وليس لأحد ان يدعيها لنفسه
أو يجعلها لغيره ، وان اجتمعت عليه الكلمة وتجمعت حوله الامة ما لم
يكن منصوبها عليه .

ورأت أهل السنة مبدئياً أنها بالاجماع وانها من حق الامة فلها وحدها اختيار من يقوم بهذا العبء الثقيل « »

وبدأ هذا الخلاف من اول يوم رشح فيه عمر انا بكر للحلاوة في سقيفة بني ساعدة وعلى هذا الاساس امتنع علي عليه السلام عن البيعة وحالف القوم وراها لنفسه ورأتها فيه فئة من المهاجرين والانصار اكرت على الشيعين عملهم ، واحتجت عليها بالتحجج لكثيرة . وما سالم امرئى وسالم من معه الا بعد زمن طويل حينما رأى ان صلاح الاسلام في الاستسلام ، بعد ان اقام احده وادّعى الحق .

ولم يكن استسلامه هرا تداركاً عن رأيه وعدولا عن التمسك بنص النبي صلى الله عليه واله عليه وانما ضرورة الموقف حفظاً لبيعة الاسلام لما عدم الماصر أخطئه ان سككت مهادناً ويصير على مضض كما يحكيه قوله عليه السلام في الشفعية: « وطعقت ارتئي بين ان اصول يد جذاه أو اصير على طحية عمياء يهرم فيها الكبير وشيب فيها لصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه ورأت ان الصبر على هاتا اسحقى فصرت وفي انعين قذى وفي الخلفى شحى ارى تراثي نهما . . . »

فدقق خاصة في كلمة « لرى تراثي نهما » لتعرف واضحاً انه لم يتنازل عن رأيه ولا قيد شعرة وما كانت مسألتها الا لضرورة الموقف مقهوراً « » انظر شرح المصحح « ١ : ٢١٥ » وكتب الكلام للمريقين . ولكن أهل السنة لا احسبها تستطيع ان تثبت قولها هذا عملياً ، فان عمر بن الخطاب تعين بمضى الى بكر عليه وعيّن تعين بالشورى التي سنّها عمر لسته مر ، وصارت الخلافة في بني امية وبني العباس وغيرهم عهداً صرفاً من دون ان يكون للامة فيها رأى أو تدخل . . . وهكذا انقلت عندهم عملياً من القول بانها من حق الامة واستجابها الى العمل بالمعص والتعيين ، وهم مع ذلك يسكرون على الشيعة لما رأوها بالوصية والعهد . ثم بعد ذلك التجأوا الى القول بانها ثبتت اما بالاجماع أو النص فرددوا بينهما .

على التنازل عن المطالبة بحقه وكم له من كلمات من هذا الباب في غصون
سهج البلاغة توضح مبعده مع القوم .

استطردت هذه السدة بأريحا لأول حلاى طراً في الخلافة مقدمة
للبحث ولست أريد أن أعيد تلك الماطرات فكرها حذقة بعد ما هزمت ،
وأما أريد أن تذكر آراء الشيعة في الإمامة وتوضحها مع وحيز من الدليل .

الإمامة خلافة النبوة

تعتقد الشيعة بأن عمداً المصطفى رسول رب العالمين أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وأنه معصوم من احدث في العمل والزلل في
القول . وأن شريعته جاءت لمنشر كافة . كافية لصلاحهم جميعاً من جميع
نواحي الحياة ، وأنها جذيرة . لو هيمنت على نكرة الارضية . بتسيير
نظامها وتنفيذ احكامها وإقامة العدل والحدود . فليس الرسول صاحب
شريعة فقط ، بل يجمع إليها السلطة لتنفذيها . ولاشك به لا حدود في
تشريع النظام وسن الاحكام اذ ان كس المشرع قدراً على تطبيق ماشرعه
وتنفيذ ما سنه .

وتعتقد ايضاً بان الإمامة خلافة النبوة . لأن لبشر بعد صاحب
الرسالة في حاجة ماسة الى من يعلم بالشريعة وحصان نص احكامها ويعلمهم
ما يحرمون . ويقرهم على ما يعلمون . وفي حاجة ايضاً الى انقائم العدل
بينهم عن غم . المقيم للحدود . الأمر بالعرف . الصادق عن الفساد . الرادع
عن لنكر ، والمعد للاحكام التي جاءت بها الشريعة كما جاءت . من دون
تحويل وتصحيح ، وتبديل وتزوير .

ولو لم يكن للامة ناظم بالشريعة كما جاءت . ترجع ايد في احكام الدين
وتفسير القرآن الحكيم . لاحتلت الكلمة في الاحكام ، وتناقضت في
الحلال والحرام ، وتعارضت في تفسير الايات ، والكشف عن المحكمات
والمنشآت ، كما وقع كل ذلك عند ما لم تنبغ الامة ذلك العالم وصفحو عنه

ولو لم يكن للامة راع يسوسهم ويأمرهم بالعدل والعرف ، وينهاهم عن الجور والسكر ، ويحملهم على ما جاء في الشريعة كما جاء ، لا أصبح الناس فوضى في النظام والحدود والاحكام ، يتجاوز الرجل حدود الشريعة فلا أحد يصدّه ، ويخالف نظامها فلا يجد من يرده ، لعدم الراعي العام ، والمنفذ للاحكام ، أو لاختلافهم في الحدود وتحالفهم في الحلال والحرام ، ولئى رأى بعضهم تأديب ذلك المخالف عارضه الآخرون ، أو استطاع أحد أن يقيم عليه الحد معه الكثيرون ، درءاً للحدود بالشهات ، أو جهلاً بالشريعة ، أو قلة اهتمام بالاحكام ، كما جرى ذلك كله ، وحرى الخلف فيه على سيرة السلف ، وما كان ذلك كله الا لحيولة الناس بين صاحب ذلك المقام وبين القيام بواجبه في الامة .

ولو انبرى لنا ذو علم فقال : هل ترى الشيعة ان الرسول الامين صلى الله عليه وآله اهل بيان كثير من الاحكام حتى ترك الامة تختلف لهذا الاهمال رأياً ومذهباً فيها ، ولم يقم بما يحتمه عليه الارشاد والاصلاح من اعلامهم بتكاليفهم ، وهم في حاجة الى هذا الاعلام ، فيكون قد ترك بعض وظائفه وواجباته ، التي القاها الخليل تعالى على عاتقه .

لقلنا له ان النبي عليه وعلى آله اسلام جاء بالكتاب والسنة وحدها غير كافيين في بيان كل ما يحتاج اليه الناس ، من فروع الاحكام والحوادث المستجدة ومن ثم قال قوم بالقياس زيادة على الاجماع والعقل ، ليسهم عليهم استنباط الاحكام ، بل تعدى آخرون الى الاستحسان حين لم يحذروا في الحكم ما يقيسون عليه ، وجعلوه من الاصول المقررة في الاستنباط ولو كان الكتاب والسنة وحدهما كافيين في البيان ، وتعريف الناس بحكامهم اجمع ، لما لتجأ لاحثون عن الاحكام الى الاجماع والعقل بل الى القياس والاستحسان ، أو لو كانا وحدهما واضحى الدلالة لما اختلف في معادها المستنبطون ، وفي مدلولها أهل الآراء والافهام ، فاصبحوا مذاهب وفرقا ، مع ان الكتاب واحد ، والسنة واحدة ، والصادع بهما

واحد ، وكل ما جاء في الشريعة واحد « حلال عند حلال الى يوم القيامة
وحرامه حرام الى يوم القيامة »

ولا يسع ان يقول . انه ترك ايان عما تحتاج اليه الامة ، لان هذا
لترك احلال بوطيقته . واهمال لصح الامة وارشادهم ، والاخلال
والاهمال منه محال ، واما يقول : انه قام بجميع وظائفه ، وباب كل
ما تحتاج اليه الناس ، غير انه اودع ذلك عند حديثه ، وأما لاوصيائه ،
واين است عن قول اني احسن عليه اسلام وقد وضع يديه على صدره
« هذا سقط لعلم هذا ما رقيده رسول الله صلى الله عليه وآله » وقوله
- حين ساء له الناس في مرض النبي « ص » نعم اسر ليده وقد اسر اليه
شيئاً - « نعمي رسول الله صلى الله عليه وآله » وانه ان باب من العلم يفتح لي
من كل باب ان باب « وفي حديث « ان باب » وشهد له ابصار
قوله عليه وعلى آله صلاة واسلام : امدية لعلم وعلي بابها » وقوله
« في محفل فيكم ثقتي كتاب الله وعرفني أهل بي » وفي بعضصوص
هذا حديث : « ولا تعلموه بابي اعلم مسكم » ومثل قوله تعالى « ومن
عنده علم الكتاب » وقد تركت في علي عليه اسلام ، وان كتاب نفسه
يقول : « وكتب عليه الكتاب » لئلا يكون في شيء » ويقول « وما ورطنا
في الكتاب من شيء » الى كثير من امثال ذلك مما دل على ان علم الرسول
وعلم كتابه وسنته عند علي وعقوبه عليه وعليهم اسلام

فيان ما جاء في شريعتهم جميع نواحي ايون مستودع عند باب علمه
وعند الامة من يده ، مستودع الاب عند الله واحداً بعد آخر ، ومن
ثم تحدهم رأياً واحداً وعهداً واحداً ، لا يختلفون في شيء من علم الكتاب
والسنة ، واما اختلاف الناس في مدلولها من اول يوم دوزهم ، لا لهم لم يأتوا
المدينة من اناب ، ولم يأخذوا علم الشريعة من لتقليد معاً .

وبما وقفوا في وحوهم صديقاً لهم عن شر ما استودعه الرسول
الامين عليه وآله السلام عندهم شملوا الخرم ان خوفهم من بيان ما لديهم

اد كانت عصورهم كلها تقية ، وتمكن سبب ذلك الدساسون ان يكذبوا وعجز الرواة ان يتقوا كل ما رويوا وسمعوا ، وفتحوا الباب للاجتهاد لعرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله بالطرق التي ارشدوا اليها ، ودلونا عليها ، وتركوها تراثا لنا .

فالشبهة الامامية هذا وبغيره تعتقد بان الامامة خلافة النبوة ، وان الامام يجب ان يكون خليفا بالبيان عن الرسول « ص » في تلك الاسطيتين الروحية والرمزية . وقد برأ على اقيانه بها ، حتى لو كانت ولايته تحيط باطراف المعمورة اجمع . كما كان عليه صاحب الرسالة « ص » وما احتلقت اساس وصارت الى مداخل في العمل بالشرعة لا حين حالته وحالت دون اداء وظيفته ، وأدت من قيمه مصححهم وصلاحهم وما كانت تلك الحيولة وذلك الابهاء ليضعان من قدره . أو نقصان من خطه . لان الامامة وهيمنتها ليس الا لاصح لعدد اعينهم ، وما الوقوف دون تصرفه الا تقويتهم بمسعادته لتتن يرحبان لهم بمصححه وتعاليمه وما قيام لدس في وجه الامام الا كقيام قرش وبعض العرب في وجه صاحب الرسالة بيمسده عن اداء رسالته ، وهل كان في رسالته سوى اخراجهم من الطغمان الى نور . ومن الضلال الى الهدى . ومن اشقاء الى اسعادة ، ومن اهل الى العلم . وهن بقادوا المداعي الصلاح لا بعد الجد واجهاد . واتعب وانعاب . وهل كانت دعوته باللسان ، واثامه بالحجة باليد ، معيين عن الحرب واحراب .

فلامام ايضا لا يستطيع ان يقيم حدود لشرعة المحمدية الا ان يقوى على شهر السيف واشراع الرمح ، وابن لعدة واحد ، وما استطاع الا برهة قصيرة ايام رجوع الخلافة الى في الحسن وانه الحسن عليها السلام على ان الحواجر وعدم الانقياد لتام من الامة حاتا في تلك الايام القليلة عن اقامة جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وعن اقامة البدع والمكرات ويشهد لذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : « لو قد استوت

قدماي من هذه المداخل غيرت اشياء « هذا وهو صاحب المنبر والسيف ، فكيف في العهد الذي لا يسمع فيه له قول ولا يعمل له بأمر . ولو كانت الخطب والصحح البانية تعدل بالناس الى الحق ، وتسبب بهم لصرد السوي لكان منها ما كان من ابي الحسن عليه السلام على سر الكوفة ، وكان من بعضها ما هو بي يديث اليوم من نهج البلاغة ، بل امدات بهم من اول يوم فاغنت الرسول الكريم عن سل السيف والجهاد في صبرارة الشتاء ، وحجارة القيظ .

وسوف نأتي على شيء مما يجب في الامام من الملكات القدسية ، والصفات العلوية ، مشفوعة بموحر من الدليل عليها ، ومنه نستمد الثوفيق والعون .

الامام اعلم الناس

فمن تلك الملكات التي ترى الشيعة ان الامام يجب ان يكون حائراً عليها هو انه اعلم الناس ، وكيف لا يكون كذلك وايه نشد الرجال من كل حذب وصوب لطب العلم عما تحتاج اليه الامة في عهده والعمل به ، فان اليه المنتهى ، وعنده الوقوف ، وفي هذا أمران مرعيان احدهما عامه بالشرعية وما يحتاج اليه الناس وثانيه اعاميته من سواء .

اما البرهان على الاول فاليك بيده ، وهو ان الامام اذا لم يكن عالماً بالشرعية جميعها ودقيقها ، حدودها وعقودها ، فرائضها وسبها ، كما نزلت من السماء ، لم يؤمن خطؤه ، وحار عليه ان يقلب حدود الله سبحانه ويحكم بعكس ما جاء في الدين ، فيوجب الحذف أو القسط على لري ويرمي من وجب عليه الحذف أو القسط ، أو سألوه عن الفرض فيهي يانه سمة ، أو عن السمة فيقول إنها فرض ، أو يجعل لدقيق حايلا على الناس ، أو الخليل دقيقا عليهم ، الى غير ذلك مما يحور عليه فيه مخالفة اشرعية ، بل لا محالة يقع في هذه المخالعات ، ولو بعضها كما نجدهم أو جنوا احد على

المحونة واحامل ولولا ابو الحسن المرتضى ، لقد هذا احكم ، كما نخدم
لا علمون اخذوا السارق ولا يهدون الى فسمة لموارث ولا يعرفون
ما الكلالة ، ودرأوا الخد عن الراي ولقود عن القتل بزعم الخطأ في
التوبل ، بل جعلوا حتى معنى الاب في القرآن ، الى امش دك مما يحجر
القيم عن استقصائه ، ومثل هؤلاء كيف يكونون حذباء الرسول « ص »
في شريعته ، ومهينين على امته ، وحجج الله على برهته يسئل الناس
يوم القيامة عن طاعتهم وولائهم ، ويهدسون على مخالفتهم ، وان كان في
خلافهم الحق ، وفي صاعتهم الركوس في الصلاة ، وهذا الاصلاح الذي
رده الله لعباده في الامامة ، سجدت انهم ما اردت من بعث الانبياء .
ونصب الاوصياء الا الهدي لا لصلاته ، والا الحق لا لطله ، والا العلم
لا لجهالة ، والا السعادة لا لشقوة ، والا العمل باحكام ليس لا محالة
الشرائع استباوية فمن عذربا من مثل هذه الامامة اي ترجع بالناس الى
اجاهلية العمياء .

على ان تصدي مثل هؤلاء بالامامة ان كان مع وجود لعلم بالشرعية
فقد اعتصموا مقامه ، واستندوه منصبه ، وكان اجدير به ان يتحولوا عما
ليسوا له باهل ، ومناهم في حاجة دئمة الى النعم والاهتداء والاسترشاد ،
لا التعليم والاصلاح والارشاد « ائمن يهدي الى الحق حق ان يتبع امن
لا يهدي الا ان يهدي ثم انكم كيف تحكرون » وهم بمومية اخرى منهم
بالامامة على اسم بارئهم منير الاخلافة يكونون عصاة الهدي المنصب ،
وكيف يكونون لغاصب اماما ، والله تعالى يقول في حكيم كتابه « لا يزال
عهدي الطالين » وهل اظهر من لعصب في اظلم .

واما ان كان للناس كلهم في الجهل بالشرعية شرعاً سواء فقد صلت
الامة عن لصواب ، وتاهت عن الرشاد ، وصاعت جهود الرسول (ص)
في دعوته ، وفي هدايته وارشاده ، حيث ترك الامة من دون مرشد
وهاد ، والشرعة من دون عالم ومبين ، وكيف ادن تكون حجة الله تعالى

بالعة والناس في عذر فسيح اذا لم يعكفوا بالشريعة وحملوا احكام الدين .
وهل يكلف الله العباد بشريعة لا يحمل لها حافطاً من لعن والتحريف
والتبديل ؛ عاداً باحكامها وحدودها ؛ وعليها مهيمة ، ليس دث تكليفاً
بما لا يطاق ، وهذا خلاف اللطف والعدل بعباده .

ولو كان الكتاب والحديث وحدهما كافيين لحفظ والاحاطة ولا بآفة
ورافعين للصلاة والجماعة ، وحاميين للناس على محجة واحدة ، لما اختلف
الناس فيها وعنهما ؛ حتى صاروا فرقاً ومذاهب ، وكل ورقة تزعم ان
دليلها الى الحق الكتاب والسنة ، وانها الرائدة الى ما اقتسوه من
رأي وعقيدة .

وكيف يكون حجة الله على العباد من يأخذ علومه من العباد . وكيف
يكون الراعي السائس من يستقى معارفه من الرعية ، على ان الرعية
كالراعي جهلاً ، باحكام الشريعة ، ولا معهم بصيرون عنه ، وصلال ولا
هادي ينفذهم ، ليس من هذا وغيره نعرف ان اللطيف تعالى لم يترك
الامة هملاً من دون عالم يأخذ عنه من المسع الفياض دون الناس ؛ وهاد
مهدي نفسه من دون ارشاد وهداية من عامة الناس ، لطفاً بالامة ،
وحفظاً للشريعة عن التحريف والتبديل ، وهذا العالم الهادي تقوم الله
الخجة الباقية ، وتستبان المحجة الواضحة ؛ ومع وجود هذا العالم الهادي
لا يسوع تحكم العقل ان يتقدم عليه * هل الخجل والغاوة ، والصلال والعمية
لان تقدمهم عليه اضلال للامة واضاعة للحقوق ، والله تعالى ما اراد سعت
الرسول « ص » الا الهداية وحفظ النظام والحقوق كاملة .

ثم ان الغرض من نصب الامامة للامة صيلاحهم وتعليمهم ، يقول
أمير المؤمنين عليه السلام . « قطع العلم عذر المتعدين » فادالم يكن علم الهي
يكون حجة على الناس ، أو كان علم احده الناس من الناس فهو ناقص
لا يصلح للحجج ، فان عذر المتعدين واسع غير مقطوع ، والخجة عليهم
قاصرة غير مانعة ، ولهم على الله كاملة .

وأما الثاني أعني ان يكون الإمام أعلم الناس ، فإن الأعم الحق بهذه
الرعاية والأمة ، وأولى بأن يكون المصدر لمعرفة الأحكام ، والمسؤول
عن الحلال والحرام ، وجدر في ان يقوم ببيان ما يحمل الناس من أمر
الشريعة ، وأمانة الحجة ، وتطبيق الحدود . ومساعدة أهل الملل والنحل ،
ومع وحدان الحق لأخرى كيف يرى لعقل والوجدان في ان يدفعه
عن هذا المقام من لا يدايه في علم ولا يساويه في حجة ، ولا يلحق
عباره في منطق ، فانه ترجيح المرجوح على الراجح ، وترجيح احد
المتساويين على الآخر بلا مرجح قبيح في نظر العقل وكيف ترجيح
المرجوح على الراجح .

على انه لو كان هناك عالم جامع أصعب من كل كتاب وهناك من هو
أعلم منه وجمع يسوع لعقل ان يكون الجامع امام الجميع ، لأن الجامع
مقتدر الى الجميع . وكيف يجوز في ترجيح ان يجعل العقيد امام أعني
عنه ، والعلي مأموماً لمن هو محتاج اليه .

وجهة القول ان عمية الامام مما يحكم به العقل والفتوة ، وعليها
سيرة العقلاء في أعمالهم وسائر أحوالهم من تقديم الافضل على الاصل
في كل أمر ، ولا يرون للمحدث أو المحدث على الاعم تقدماً ورجحاناً
فروض والعمية وهي صلاح الناس بتقديمها عليه ، بل لا يؤمن
تقديمها من الخوف في الشطط والغلط مع وجود الافضل في كل شأن
عني ان دفع ذلك المحذور ممكن بتقديم الاعم ، وما الذي يدعو لاقتحام
هذا المحذور ، بل وهو فروع فيه . مع القدرة على دفعه ، لأن الفرض ان
الاعم موجود في الناس ، ومعروف بالقيمة والبيت والبلد والشخص ،
والوصول اليه لا يحتاج الى مؤنة كبيرة ، وتحشم محاطر .

عالم بكل شيء

وبعد ذلك نقول . ان الامام لما كان مرجعاً لعامة الناس في كل شيء

من امرى الدين والدينا ويحور ان سألوه عن كل شيء ، فيجب ان يكون عنده علم كل شيء ، مما ليه حاجة .

ولو سألناه احد من أهل ملته من سواه من الذين هم يحور عنده علم ما سألناه عنه لم يره حديراً بمنصب الإمامة عامة ، ولا صالحاً لان يكون خليفاً ناخبة على العباد ، وكيف يكون الوسيط بين الحالف واخليفه عارياً عن علم ما يحتاج لئس ليه ، وكيف يكون حجة على العباد ولا يدهم بالعلم والفصل ، وماذا كان حجة عليهم وامه دونه وهو وهم شرع سواء في المعرفة .

على ان السائل من ذوي اهل الاحقية سوف لا يجد حجة لهذه الملة ودعوى حديرة بالاحاقية بعد ان يجد امامهم خارج احقيتهم من اهل الارم ، وكيف تقوم عليه احقية والامه لئس حجة

نعم انما الكلام في وجوده والامه له بالشيء كافة . ولا احيات على الخلق لعدة المرات على وجوده ، فان لو حذر اكثر رهان على وجود هذا العلم ، فان في الامه . سألوا الامه لا تسهم دون اساس احمين . ورأى فيهم رقة من الامه حمة اعد ، وكان حديراً ان تحريم انه من يهره واصدق ما يدعوه ، على انه طهره . ولئس معرفة عنهم من تحب العلم ما صدق الخلقين وملا صوامير وانصرفت . وما سألهم احد عن شيء الا وجد اجواب حاصراً عنده دون انكؤ وتردد ، ومثل هذا العلم لا يحصى عليه لمره بالكسب والتحصيل مما هو الا مستقى من اوسع الاعلى دون توسط البشر سوى الرسول صلى الله عليه وآله وهذا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر في مسجد الكوفة والمسجد عاص ناهله يقول : « سلوني قبل ان تفقدوني ، وانش لا تسألوني عن شيء الا خبرتكم به » ، ويضع يده على صدره كما مر ونقول : « هذا سعط لعلم ... » وهل يحور على مثل هذا القول الا العالم بكل شيء تعليم من علام الغيوب سبحانه . الامم على نفسه من ارلن والعشر .

وقد دما ايضاً على ذلك بعض آي الكتاب مثل قوله عز شأنه (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) وقوله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقوله سبحانه « ولا يظهر على عبيد احداً الا من رضى من رسول » فالله صلى الله عليه وآله لا محالة يكون عالماً بكل ما جاء به الكتاب وطهراً على عبيده تعالى وهو ادن عالم بكل شيء ، ومن كان الباب لمدينة علم الرسول كان عالماً بما في المدينة ، على ان الكتاب للكريم نفسه يقول : « ومن عنده علم الكتاب » وقد زلت في علي عليه السلام فالعقل دلنا على وجوب ان يكون الامام في الامة عالماً بكل شيء ، والنقل والوحدان ارشادنا الى وجود ذلك لامام لعالم .

عليه حاضر

بعد ان كان اساس في حاجة الى ان عالم بكل شيء مما يحتاجه الناس ليحبرهم عما يحفلون وعما يحتاجون الى عرطه ، وليقوم بمصاهرة ارباب المال والجاهل ، وحب ان يكون حاضر لعلم ليكون حاضر الجواب عما يسألونه وعما يباصرونه به ، ولو أرجأ اجواب الى ان يأتيه العلم لكان الارحاء مشلولين وفي مقام الامامة ، ونقصاً في الفائدة ، وبكوصاً عن الحاجة الى ريماءات الامر المسؤول عنه اذ لم يكن الجواب حاضراً لديه ، وعلى من اتهمه عندئذ ؟ كما لو سألوه عن امرأة حامل ماتت والجنين حي ، وانه هل يترك الجنين لي ان يموت فيها معها ويشق عليه ، ومن اي الجانب يشق ، فان السكوت وانتظار العلم يستلزم فوات الامر بموت الجنين ، أو يسأل عن محبوبة شهدوا عليها ناراً أو حامل كذبت وقد قدما لاقامة احد ، فاذ لم يكن عالماً بدرء احد عنها موقتاً لقضى الامر ، ونظائر ذلك كثير لا يحصى .

من قد يصل الناس بعد الهداية اذا عرفوا جهله . وكيف يكون الحاجة على ارباب المال بهذا الجهل ولو أحجم عن مضرتهم أو استظروهم الى ان

يُحصل لديه العلم كانت أحجة لهم لاله .

ولا يذهب بث الوهم الى ان علم الامام اذا كان حاصراً لم يكن فرق بينه وبين علم العلام تعالى ، لأنه يقول : « إن علم الله سبحانه ذاتي وعلم الامام عرسي مفاض عليه من العلم عرشته . ومن قوله عرشته . » ولا يظهر على عيه احداً الا من ارتضى من رسول » تعرف ان المصدحة تقضي باظهار بعض رساله على الغيب ، وتعرف الفرق بين علمه سبحانه وعلم رساله ، وان علمه تعالى بذات وعلم الرسل بالاصهار منه تعالى على علم اعيب وقد استوفيت لبيان عن علم الامام وحضوره في رسالتنا - علم الامام - واوردنا عليه من الخرج العقاية والمقلية ما فيه قناعة .

الامام ازهد الناس

إن الزهد مراتب تعرف من تفسير الزهد ، ويان معه في الآثار والخبار :

« المرتبة الاولى » ان يراد من الزهد اعمس بالواحدات والارتدع عن المحرمات .

« الثانية » ألا يئسى على ما فاب ، ولا يفرح بما هوات ، كما هو منطوق الآية الكريمة « لكيلا تمشوا على ما فاكم ولا تفرحوا بما آناكم » « الثالثة » ان يكون فوق نيت امر ليس حشش امدس حشش امد كل « الرابعة » ان يكون فرق ذلك كله . لا يعرف في الحياة حيداً غير ما يحبه الله تعالى ولا يفيصاً غير ما ينقصه الله سبحانه ، يتخرج في حلال الدنيا ، ويعرض عن حرامها .

وعلى ان تكون هناك معان يزهد ومراتب اخرى ، وليس في مقام تعريبه وتحديداته والاطمينة عن تحقيقه من كل اوحوه .

إن الزهد في الشيء اعة الاعراض عنه ، طارهد في الدنيا الاعراض عنها ، فادأ ظهر على الامام حب الدنيا الدنيا اقتدت به الامة وانعته في

هذا الحب ، لانه القدوة المتبع ، فيصح الناس كلهم معرضين عن الدين ،
مقلين على الدنيا اقتد ، امامهم ، واتباعا لسيرة مقتداهم .

كما ان الناس مراتب في الحال ، فمن عي ذي سعة ، وبين فقير ذي
مترقة ، وبها متوسطات ، فقد يوجد في الناس من لا يسأل القرص من
الشعير . ولا يعرف الشع من الرخاذا رأى ذو المربة امامه مقلدا على
الادات ، متشاعلا بالشهوات . محتاراً لنفسه ارعد العيش ، احتقر نفسه ،
ورأى الفقير شعار ابيودين ، ومن لا قيمة في الحياة . لاشعار ارباب
الايمان ، وأهل الصلاح . فكيف هذه الرعدة اكسر نفساً عرت على بارئها ،
وكرمت لدى صانعها . وما تفقر الا حلق اختاره الله لمعص عباده وليس
انفى كلالا حلاق الفصيلة التي لا تخص لا بالراضة والاكتساب ، فيذم
تاركها لتفويته القصية بالاحتيار كما ان لفقير لم يكن كلالا حلاق لساوة
لي يرتادها المرء بالاحتيار فيذم على ارتكابها ، فيكون انفى قصية ، ولفقر
رذيلة ، وانما هما مسط الله وتقديره « الله فصل بعضهم على بعض في
الرق » وما اكثر ما مسح انكته - احكيم من آيات تفصح بان الرق
من تقديره وتديره . جلت قدرته ، وعظم تديره ،

ولم يكن لضرر في طهر الامام الرعية في الدنيا استئلال أهل الفقر
وحسب ، بل يرفع بذلك ابواب أهل الثروة واوفرة ، فيكون التطاول
عدد في لباس الاموال لا بالاحلاق والصلاح .

ثم اذا كان الامام من ذوي الرعية في الدين فلا يجمع حوله الا امثاله .
فليس يكون مقام لفقراء والمساكين . ومن الذي يفتح لهم باب ، ويوسع
لهم مجلسه ليقوم بحقوقهم وقضاء حوائجهم . وما الامام الا من تساوت
الرعية لديه ، وتوارنت عنده .

فهذا وغيره رأيت الشيعة ان الامام يحب ان يكون ارهد الناس .
ليرتفع الفقير بمشاهدة زهد الامام عن دلة الفقر ، ونظام من لغي بمراة
عن طغيان الور . وينصرف الدس الى اكتساب العصب مثل الحقيقة

والتقوى تقر بالامامهم ، وطناً لرضى حالقهم .

على ان لامام الذي اوحيت فيه الشيعة تلك الخصائص العلوية لابد ان يختار لرهده لنفسه لانه قصبة سامية ، فان الامام الذي عرف الله تعالى حتى معرفته ، وتحت يديه عظمته ، نحوه بكل حاسة وحارحة وحاجة اليه جل شأنه ، فكيف يشعله شيء من نعيم هذه الدنيا الرثة عن خدمته سبحانه ، وعن التفرغ لعبادته ، فففس الامام وحدها لا ترى غير رهد شعاراً ، فكيف اذا كان فيه انبعاث بدوى الخافعة . ودفع لما يحذرونه من اوحشة وبدلة ، وتواضع لدى لعي وثروة ، وكسر لما يحذرونه من العكبرياء واعظمة ، ودفع لما يحذره لعي من المهني والفساد . وذلك يستطيع ان يعلمهم صفات واحداً ، لا يرتفع اغني بعده . ولا ينصاع لبقير لفقره فيساوون كاسان المشط ، شأن الاخوة المتحابين ، بل « انما المؤمنون اخوة » .

فالرهد مع ما فيه من تلك حلال العلية احمل وسينة في الامام للوحدة الاجتماعية ، ونسوي دوى لم نسا اتعلمه في لعي وبقرب . وروعة والصدقة وكبه لا اعترا أهده اخيه عليه في الامام سيرة سيد الرسل ، وسيرة اخيه ووصيه الامام ادرضى عليه وآله اسلام ، وابن ات عن قول ابي الحسن عليه السلام منصحاً عن سيرته في كتابه الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة . « ولكن هيبت ان يهابي هواي ، وتقودني حشعي الى تحير الاطعمه . ولعل بالخجار أو انيممة من لا طمع في لقرص ولا عهد به باشع ، أو أبت مطبا وحولي بطون عرني واككاد حري ، أوقع من نفسي بان بقل امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو اكون اسوة لهم في خشونة عيش . فما حلقب ليشغني اكل الصيات » ونقول فيه « واما الله عياستني فيه عيشة الله لأروض نفسي رياضة تهش معها الى لقرص اذا قدر عليه مطعوما ، وتقع بالملاح ما دوما » ولا يريد بهذا ايان امير المؤمنين عليه السلام ان يعرب لما عن سيرته في الحياة وحسب ، بل يريد ان هذا ان الامم يحب أن يكون على مثل

هذه السيرة مع الرعاية ، و من سطر الى المدينا سطر لا رداء والارورار
لثلا تتعلب عليه لدمه . فانه اذا كان شعور بالذات ، لا بهم شؤون
دوي العاقبات ، ولا بشركه في مكاره ، ولا يكون أسوته في الخشونة
وفدوتهم في الخشونة .

ولقد مثل له النبي او الحسن عليه سلام وخسنت يديه مثل حال
انه لا يؤتى في تهجيمه و يستنارها بظنيره ، فقد قال في كلمه اقصار :
« والله ليدياكم هذه أهول في عيني من عراق حدير في س مجديوم »

فل لي بوجدت من ظن ان سطر عظم الحير في يد الخنوم فصلا
من ان تهنس ايمه بفسه ، الله اكبر ما احقر انبياء و قدره في عين
يا با الحسن ، وما اقدرك على صويرها تما سفر منه صانع و تشمئز النفوس
حتى وان كان النفوس مسقية ، و لاطاع بهيمية

حقاً ان الامام اندي يرد ان صلاح الأمة ، ويرفعهم الى اوج السعادة
من تعرب بفسه عن المذات ، و تنجب شهوات ، و متى ستموته هذه
امطار الخلافة لم هو على تنفرع للاصلاح ، و جعل دي المسفحة فموسعاً
بررقه . و دي لثراء قابضاً على شكيمته .

ان لشر لو ترك و غسه لا يصح بفسه ولا يرتفع بفسه « ان النفس
لأماره ناسوه » الا ان يكون منه مصباح روع نداء ، و مذكر رحر
دوماً ، و ان سوي ساس في الاخلاق و بذلك : بقدر مصيهم على صلاح
بعض ، و فوجب ان يكون المصالح متخفاً ، و رادع مرسداً ، فقل ان
يوقف بفسه للاصلاح و الرحر و التذكير و الوعظ ، و هذا أحد الموانع ،
لا يرسانه تعالى ارسل و الانبياء ، و جعله لهم الاوصياء و الخلفاء .

اعرف الناس بالسياسة

لا ذهب من لوهم لي ان المعنى للسياسة في لسان أهل العلم و الدين
ما مهمه ايدى اس مهيا ، و هي المكر و الخداع و الحيلة و المعالاة و المصاهرة

سنتي الاسانيف ، بل السياسة عند تدبير أمر الامة - وادارة شؤونها على النهج الصالح والعدل لصارم بما فيه صلاح لدن دنيا واخرى .
والامام الذي يختاره الله تعالى للامامة واصلاح البشر لا يليق به
و بمصحه ان يجادع ويماكر ويختال ويصانع ، وإن الدين ليقب الاحتيال
بما يخالف الدين باسم الدين ، فان مخالفة دين لا تكون من الدين والدين
ولو كان الامام جاهلاً بهذه السياسة الصحيحة لافسد الامة من حيث
يرجو الصلاح اولاً يرحوه ، إذ لا يؤمن من ان نبي التدبير في أمر في
مقام انبي ، واهي في مورد الامر ، أو يعتمد على ادس آخري في
السياسة ، وكيف يؤمن من ان يكونوا جهلاء مثله ، أو أنهم لا يراهم
الله في عباده ، فتعت اهوؤهم وآراؤهم في الناس ، ويعيشو وساداً في
الارض ، ويتصرفوا في الدين والامة جهلاً في مواضع لتصرف . او اتاعاً
ناهوي والميول النفسية ، فيكون بذلك لفساد ، وهذا اراد الله تعالى
الامام للصالح .

ولرما يحال بعض من الخجود أو المعد عن سياسة الدين ان
ابا الحسن عليه السلام كان بعيداً عن سياسة عن تدبير الملاد ، ويحهم
لامهم الهل والعر ايهم جهلوا أو تحاهلوا الحق والحقيقة ، ألم يعلموا ان
المرتضى كان من رجال الدين لا الميث ، فان كانت السياسة الاحتيال
والاعتيال فما بعده عمها وما بعدها عنه بعد الله عن الارض ، وان
كانت لسياسة ادارة اسلاد ، وتدير لعد ، على ما يدعو اليه صاخمهم ،
وتتصدده شريعة الحق ، فان المرتضى هو السياسي الاوحد الذي لم تند الايام
ولن تند مثله الا ان يكون اماماً جمع من الصفات ما جمعه ابو الحسن (ع)
ومن عرف منه بالدين وتطيين احكامه ، حسب ما دل من لسماء .

وإن اكبر ما اخذوه على أمير المؤمنين عليه السلام في سياسته انه لم يبق
معاوية على ولاية اشمام ، وان عرله اثار تلك الحرب الضروس ، التي
ما رتني لعرب مثلها من قبل ، أو ما عمووا ان الدين يجمعه من اقر ومعاوية

على الولاية ، وكيف يرتضى الدين مصانعة أئمة الصلال ، ومجاملة أهل
 القدر والفاق ، ولو صابح مثل معاوية لاختلط الخابل بالتابل ، ولما امتاز
 مؤمن عن المنافق . ولا المطيع من العاصي ، وإنما فعل الرسول « ص »
 ذلك بده الاسلام ، لان الناس بعد لم تعرف حقيقة الاسلام ولم تتدبر
 احكامه ، وهو قاوم مؤلفة قلوبهم وحارب المنافقين لم تنجح دعوته ولم تكثر
 انصاره ، ولم ينتشر الاسلام بسرعة ، وإنما وقد ظهر أمر الله فلا موطن
 للتأليف ، ولا موضع للمصانعة ، ولت شعري متى تطبق احكام الدين ،
 ومتى تعمل الناس بالشريعة ، اذا سار اولياء الامر على المداخلة الى النهاية .
 على انه لو جورنا لابني الحسن عليه السلام مصانعة معاوية بملك ودفع
 القتال لمكانات السياسة المملكية تدعو الى فصله وعزله ، أليس معاوية من
 ارحال الدين عرفوا بالقدر ونقص اليهود والمواثيق . فإذا اقره ابو الحسن
 بانتقص عليه معاوية كانت الحجة اذن على ابي الحسن حين ارتضى معاوية
 بولاية ولم يرتضه معاوية للحلافة .

ولو اقره ثم عزله كما اشار بذلك بعض اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام
 فم يرح معاوية من الشام وهذا يخرجه منها بغير القتال ، وأهل الشام اطوع
 لمعاوية من الظل لدي لطن ، والحجة اذن قائمة على ابي الحسن باقراره
 لمعاوية وبعزله معا .

ولقد عاب الناس عن أمر لم يغيب عنه معاوية ، إن معاوية كان يرقب
 اليوم الذي يفتك فيه لناس عثمان ليتخذ الطل بدمه ذريعة للسلطان ،
 ومن ثم سكت عن نصرته ، وكان قديراً على الدفاع عنه ، وهو أيسر له
 من حرب صفين وابقى على النفوس والناس ، ولو اقره أمير المؤمنين على لشام
 لم يقع بالولاية ، لانه يعلم ان ابا الحسن لا يتفق معه ، ولا يسلس له قياده ،
 وكيف يجتمع الحق والباطل ، والهدى والصلال ، وما الذي يؤمن معاوية
 من ان يسرع ابو الحسن لفصله ، على ان طلبه بدم عثمان ورضة ثمينة لئيل
 الملك . وقد امكنت ، فلو فأنته شئ يستيقن بان يطهر بمثلها بعد اليوم ،

والوقت فرص .

فكان معاوية لا يرضح لخلافة أبي الحسن ابداً معه كلفه الأمر ، وهو يعلم من أبو الحسن في صلابة عوده ، وهو الذي لا يعجزه عوده بحادثة ومصانة . ولو أقره أبو الحسن لا تنقص معاوية للاحتمال ، ولثارت هذه الحرب من دون ريب ، فمما أفادته أدب في هذا القرار ، وكيف أدب يقره أبو الحسن وهو يعرف من معاوية وما يوايه فتكون عندئذ الحجة لمعاوية بأقرار أبي الحسن له ، وكيف يجعل المرتضى سبيلاً لمعاوية عليه . أليس من السياسة الملكية أن تأتي أمير المؤمنين عليه السلام من إبقاء معاوية في الشام وأقراره على الولاية ، وإن وقع عليه هذا الامتناع باب الحرب ، وابن عنه هذا الباب رصي أو فني .

وهذه كلمة جاءت من مدرسة انقام عفواً ، فإنا لا نريد الاستقصاء في الدب عما يدور من سيد سياسة الأتقيين أبا الحسن عليه السلام ، فإن علمه بالسياسة أحلى من أن يخفى على ذي بصيرة ، وابن أنت عن قوله وهو لصادق : « لولا الدين لكنت أدهى لعرب » وعن فونه : « قد يرى الحول قلب وجه أخيه ودونها حاحر من تقوى لله » .

بعم أن تقوى لله أعمر الله هي لني معيته عن مصاحبه أهل البغود ، وبمقامه أهل القدر ، ومخاراة أرباب الربيع والأرزب . حتى تركتهم طمعاً في الإمارة والخطام ، وحسداً وحقدأ . وحرراً من الحق ، سكث منهم قوم وتقطط طائفة ، وتمرق أخرى ، ومتمزل آخرون .

إن الدس اعتادوا على حنط الحق باسطل ، ومصبعة دوى الجاه والرياسة ، ومداهة لامراء ، وكيف ترصخ نفوسهم لانت يحملهم مير السجل على المحجة البيضاء ، ولتساوي في المنة ولعطاء فنام يحدوا مغمرأ في أمير المؤمنين عليه السلام قالوا : إن علمه بالحق وعدم انداهسة لوجوه الناس ، والمصاحبة لأرباب البغود خرق للسياسة . وبعد عن لتدبير .

ويزن هم عن كتنه الى عماله في البلاد والخراج وأمر الجيش فأنها

— سوى سيرته واعماله - تنبيك عن علم في السياسة والتدبير لا يماثله فيه بشر ، وكفى منها عهده الى مالك الاشر رضوان الله عليه ، ذلك العهد الذي جمع الى هود العلم بدمع البيان ، والى سياسة الملك احكام الذين ، فتراه فيه عالماً ربانياً ، وخبرياً سياسياً ، حنكته التحارب ، وقاضياً عادلاً ، وقائداً مخفكاً ، واميراً مهيباً ، وليعاً معجراً ، ولعمراً الحق ان هذا العهد وحده لدليل على ان انا الحسن امتاز بكل فضيلة ، وبذلك حلته ، فلا يماثله بل لا يدانيه بشر من عرفته الناس واختبروا سيرته .

الامام المثل الاعلى

ان الله عز شأنه حين خلق الخلق لم يتركهم هملاً ، فانه لما استحال ان يشافهم ويشافوه جعل بينه وبينهم سفراء في تبليغ اراداته واوامره ، وأولئك السفراء هم الرسل والانبيا ، فالانبيا والرسل اماء الله سبحانه على دينه وخايقته ، وما اختارهم لاستيداع الدين ورعاية البرية الا لما علمه منهم من الميرة على سائر البشر في العقول والملكات النفسية ، ولولم يكن لهم تلك الميرة لما قووا على تحمل اعماء الرسالة ، وكيف يقوى على احتمال هذه الاعباء عامة الناس ، وهي تحتاج الى مدارك سامية ، وعقول راجحة ونعوس راقية ، وجهاد دائم من دور كلل ولا ملل .

وان البشر لا يسرع الى ناية الدعوة ، وتصديق الرسل ، لان الرسل تنجي^١ باحكام ونظام يخالف ما عليه الناس حين الدعوة ، فكذب الامم انبياءهم ، وهدوا في ابدانهم ، واجترأوا على قتلهم ، وابن من يحتمل من غناء الناس هذا العناء موطناً نفسه على الادبى الدائب بل وعلى القتل في سبيله تعالى حتى لو كان من ارقى الناس حجي^٢ وادراكاً ما لم تكن لديه تلك الملكات الذاتية .

وإذا قصى الرسل ما عليهم وقصوا^٣ نجهم ، فالناس بعدهم اما ان يكونوا هملاً في النظام والاحكام ، أو يكونوا قد بلغوا منارل الانبياء

في العصمة والمعارف ، أو يكونوا ملحوظين عين عنده وإطلعه كما كانوا على عهد المرسلين ، فان كان الأول فلا تكليف اذن ولا حرمة ولا وجوب وهم كالنعم السائمة ، وهذا لا يقول به أحد ، لان كل امرئ يعتقد انه مكلف لم يرتفع عنه التكليف ، وان كان الثاني وهم في عني عن المرشد الهادي . وكيف يكون هذا وتراهم في جهل مرة وعم اخرى ، وصلال تارة ، وهدي طوراً ، ولو كانوا على مثال الانبياء لما تحالفوا وسلك كل واحد واديا ، وان كان اشالث فلا بد ان يكون اللطيف تعالى قد جعل فيهم من يقوم بوظائف الرسل من المصحح والتعليم والارشاد . وهؤلاء هم الاوصياء لا هم نواب الرسل وخلفاؤهم .

وهذه الامة الاسلامية لا تختلف عن تلك الامم السالفة ، لان الناس لم يصحوا كالرسول في المنكات والمعارف ، ولم يهملوا من التكليف ، وناداهم الرسول بتلك الشريعة الواسعة ، فلا يعدو أن يكون فيهم كما كان الرسل اوصياء يسبون عنه في لتعليم والارشاد والنصح والهداية ، ولا بد اذن من ان يكون لئيب عن الرسول في وظائفه يستطيع النهوض باعباء الاصلاح ، وتكون الامة سعيدة باصلاحه ، ومثل هذا يجب ان يكون المثل الاعلى في حصانه وفعاله ، ولو كان كالناس لم يقو على اصلاحهم ، ولم يكن القدوة والاسوة لهم ، ولم يحصل القرض من بعده اماماً للناس ، وسائناً وقائداً . واصحاحا واميا وهصنحاً .

وقد ذكرنا آتينا بعض ما يجب فيه ، وسذكر في باقي بعضه . ونذكر ههنا شيئاً غير ما سبق ويأتي . ونقول :

ان الامام يجب ان يكون امين الله في الارض . اميناً على الدنيا والدين . لان الدين يحتاج الى الحفظ وحفظه في معرفته وادائه ، ولان الدنيا تحتاج الى السائس المدبر ، العارف بالسياسة والتدبير . وهل يقوى على هذه الرعاية غير العالم بالدين المؤمن علمه ، العارف بتفسير احكامه ونظامه .

ويجب ان يكون العدل الناس في الحكم والسيرة ، لان جور الامام ان كان عن جهل أو خطأ أو نسيان أو سهو فقد فانت المنفعة من امامته والعائدة من حاكميته ، لان العاية من نصب الامام صلاح الناس واصلاحهم ، واي تنكون هذه مع اجور . واي فرق اذن بين سائر الناس من رعيته ، ولماذا احتير للامامة دونهم اذا كان وابعث شرعاً سواء في العدل والسيرة . وان كان عن علم وعمد فالامامة اذن اريدت للفساد لا للصلاح والرشاد . والامام عندئذ من يريد سوء في البلاد ، لا الخير للبلاد ، وهل ياترى يجعل الله سبحانه للامامة من يتعمد الظلم لعبيته واجور حليفته . وهو القائل تعالى « لا ينال عهدي الظالمين » والخور من اقبح الظلم . وكما ناعتباراً للعدالة في الامام واعديته من جميع الامام سيرة الامام المرصى عليه السلام ، فانه كان يقضى على نفسه قبل ان يحكم على رعيته ، وما عرف الناس حداً أقصى بالعدل عن عم ودين كما في الحسن عليه السلام فانه ما شئت في حكم . ولا ارتب في قصده ، ولا ما في سيرة ، غير ان الناس لا يريد العدل ، ولا تقبل المساواة في الحقوق . كالمرضى بانى الدواء وفيه شفائه من الاحب اليهم ، والا قرب الى مستراحه ، والقدير على تأديبهم ، من نعم باخور وذند ليري بالسقيم ، وماق على لطنة ولتهمة ، ويأخذ اما من غير حله ووضعه في غير محله . الى غير ذلك مما قاومه العدل والدين .

وما كان أعير المؤمنين بعاجر عن تأديب الناس واصلاحهم على الهج المذنب عند الناس . ولكم صرح في بعض كتاباته بان ذلك يستلزم إفساد نفسه . لأن الظلم يحى فيه الانسان على نفسه قبل اساس .

ويجب ان يكون اشجع الناس ، اما اشجعة فلان الامام رئيس المسلمين وحصن لهم وفئة ، واذا كان الرئيس فرع القلب . والخصم غير حصين ، والفئة ضعيفة . وفر الناس والتجوا اليه ، كان في القر رأسبهم ، وفي الهزيمة قلوبهم ، فكيف حال الرعية اذن ، الم يكن الامام عندئذ على

انهر امهم عوناً وظهيراً ، بدلاً من ان يكون دريئة ونصيراً » ومن يؤلمهم يومئذ دبره الا متجرعاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد جاء بغضب من الله »
فيكون هذا الامام قد عاد بالخيسة من رب العباد ، وهن ياترى يحمل الله اماماً على برية يكون معرضاً للغصب والاراء ، والاياب بالنعنة والعار .

واما الاشعية فلان الامام هو الرعيم كما قلناه ، فاذا كان فيهم من هو اشجع منه كان الاشجع احق بمقامه ، لانه اربط لقلوب المسلمين ، واقوى على حمايتهم واثبت لهم في حومة الحرب ، ودا تبارك هذا الامام الشجاع مع من هو اشجع منه في حومة الوعي لم يثبت امام الاشجع ، فيكون بالقرار حليفاً ، وبالغصب من الله تعالى حقيقاً .

هذا من ناحية الزهد ، واما لوجدان ودلالته على وجود الامام الاشجع فيكمين منه مواقف المصطفى ومشاهد امر نضى عليهما وآلهما لسلام فانه لم يكن أحد في العالم رضى منه قدماً في اخروب ، واقوى حذراً عند تطاير القلوب من رهبة ابرال والقتل ، ولو فرام الميادين لما ثبت احد من لاس ، لان بطل الحشد الى القائد العام ، ومتى يثبت الحشد اذا اطلق القائد رحليه ليربح ، وكم من المسعود والي صلى الله عليه وآله ثابت بمكاه وعلي يذب دونه .

وان اشجع لاس من يقول : والله لو تظاهرت لعرب على قتالي لما وليت عنها ، ولو امكنت انفرص من رفاها لسارعت اليها ، و ان اعمال أمير المؤمنين ومواقفه لتصدق هذه الافوال .

وان حادثة الطيف اعنت عن سرد الادلة والشواهد ، وعرفت لاس كيف يجب ان تكون الشجاعة ورباطة الحاش ، وكيف يجب ان يكون الامام ان امرأاً يجتمع عليه ذلك العدد الخم ، وهو تلك لعدة اليسيرة ، وهو لا يكثر بعددهم ، ولا يفرع لدويهم ، وقد ملا أعداء القفار بحيطين به احاطة السوار بالمعصم ، وقد حالوا دون ربه من الماء ، وقد انتهت اكناد صبيته ونسائه ناراً من الضأ ، ويرى اولاد كنده ، وصهوة اهله وصحبته

اتهاوون على الصعید دونه ، وقد انسهم الحزن واضعن ثيابا قانية ، ويرى حوله عقربان الرسانه ، ومخدرات الاممة ، وقد ادهمن لفرع وشجاهن فقد الاحية وهم ما سيلاقين بعده من حور الانام ، وحقوة ولث انفساة وهو لا يردان لا رباطة حاش ، وثبات نسب ، واستفارة وجهه ، انه ويم الحق لقوى مستوى انشر من قوة نفس وقلب ، ولا يعلو لوقفا : ان ما كان عليه الحسين عليه سلام فوق شجاعة البشرية .

وكان يوسعه ان يقره ربا حين شاهد عذرهن الكوفة قسنت يحسوا عليه انصرق ، أو يستسلم ما بها ، وله ملكة لعالية بعد ابيعة عند لامورين ، وما كانت تلك تصحية آخر دواء بهاخ به الموقف ، اللهم الا ما كان من معاهدة اسقاء مدني . وحيثه بني الاسلام الى شريعة حق ، وتعريفهم من هم ارباب الدين . ومن هم أهل بدع والمكرت . فأي شجاعة كانت شجاعت يا عبد الله ، لشجاعة اي حيرت الالاب واهزت العالم ، بما لم يسمع بمثله ، ولم يعد ساريج وابن عبد عمر بدهر نظيره ، واي امرئ مثلك صار رسوة لأهل لوائب والمصائب ، واسوة وقدوة بلامة ، ومثالا للتصحية في حسين الحق والدين . هذا هو الذي يجب ان يكون المثل الاعلى في القصاص ان كنت تريد ان تعرف من يجب ان يكون الامام .

ويجب ان يكون لامام وسع لسان صديراً ، لان عبء الامام ثقيين جداً ، ليس الامام معلم الجاهل ، وهادي الضال وراعي الامة . والقمم تحفوقها ، وخضم لظلمة ، وعون المظلوم ، والنجاة لدين وعلى اعداء الدين باللسان واللسان ، ايه دجأ فقير ليجمع عنه وطوة لفقير ، والشكلى ليرد عليها حرارة لمصاب ، ولا يلم ليدفع عنه بارواح آلام العروبة ومخاطر الشهوة ، وايتم ليعس بالعطف عليه هم الحاجة ودل ايتهم ، ويحمد في الاصلاح بين الخصوم ، ويرفع العادي بين الناس ، الى غير ذلك من وظائف الرئيس لعام وراعي الامة ، الذي يجمع الى رياسته الدينية رياسته

الدينية ، والى منزلته الروحية القوة التنفيذية والسياسية .

فلو كان يسأم من المراجعة والتردد ، ويترجم من السؤال والالخاف ، ويهمل الدعوة والاصلاح ضحراً من تعب الایهام ، ومن أعباء الجسد والجهاد ، لما استطاع ان يقوم بوظائف رعامته ، ويؤدي واجب امامته ، وابن حرج الصدر من تحمل هذه الاعباء الباطنة ، واداء المهت المحمدة ، ولكنه اذا كان واسع الصدر ، بل اوسع لناس صدرأ ، قوى على اداء تلك الواجبات ، وصبر على هاتيك المحن والامتحانات .

ويحب ان يكون احسن الناس اخلاقاً ، لان الامام كما قلناه : مهبط الامة جماء ، فمن سائل علماً وآمل رفداً ، ولائذه من صولة الدهر ، وعدوان أهل الخور ، ولا جى اليه اتعيس همه ، أو إصلاح شأنه ، ومن متألم من خصومه ، وراح انصافه من خذله ، ومتوقع تخفيف آلام نوائمه ، والاستعانة به على مصائبه ، الى ما سوى ذلك مما يفرع اناس به الى الرئيس العام ، فهو كان الامام قطعاً عليط لقلب لا يعصوا من حوله ، فمن يقوم عندئذ بتلك المعات . ويحتمل عبء تلك المسئوليات ، ولكنه اذا كان حسن الاخلاق بل احسن الناس اخلاقاً ، نشرح لهم صدرأ وقابلهم بالشاشة والشر ، فاجتمعوا اليه ، ولتدوا حوبه ، وكشفوا له عن حوائجهم ، وابدوا نوارل شدائدهم ، فكان الخلق بأن يكشف عنهم سحائب الهموم ، وعموم الاحزان ، وهذه احدى الخصائل التي يحب ان يتلفع بها الامام .

هذه بعض تلك الصفات الفضلى التي يحب ان يكون عليها الامام ، ومما ذكرناه وسندكره من البرهان على وجوب ما يرتدى به من اخصال ، تعرف الوجه في الخلال الاخرى التي لم يذكر لها عنوان خاصاً ، مثل ان يكون اورع الناس واخوفهم واعدهم ، وادلهم على الرشاد ، واردهم عن العساد ، وانصحهم في الله لعباده ، وارفق الناس بالناس ، واسحاهم كفاء ، وارقههم على المؤمنين قلباً ، واقسام على الكافرين جفاً ، الى ما سوى

ذلك من لصفات الفاضلة التي يحب ان يكون فيها الامام اسمى الناس ؛
وما ذلك الا لانه امام الناس ، ويحب ان يكون اغنى الناس عن الناس ،
والناس في حاجة اليه دائماً .

الامام افضل الناس

ان افضلية الامام تنفي عن استطراد ما سبق من لصفات ؛ والبرهان
عليها يكفي عن لبرهان على جميع ما سلف ، وانما استطرادنا تلك الحصول
والادلة عليها ليعرف ، لئلا عظيم منزلة الامام وجليل مقامه ؛ وليتضح
الدليل على كل واحدة واحدة من تلك لفصائل خاصة ، وان قام البرهان
عليها عامة

فافضلية لامام من جميع لرعية ، ومومنين امر يحكم به العقل والوجدان
لما قلناه ونقوه : من ان الامامة خلافة لسوة ، ووظيفة صاحب الرسالة ،
وان الامام رائد الامة الى اصلاح ، ودليلهم الى رشاد ، وحافظ حوزة
الدين ، والداعي الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحجة الله البالغة
على خلقه . ومقرعهم في الملل وملجأهم في الملل ، امين الله في ارضه ؛
عر المؤمنين ، وبوار انكافرين ، الصاد عن الفساد ، والراذع عن البدع
والمكرات ، الى غير ذلك من لبعوت التي يتطلبا مقامه الارفع في رايته
عن الرسول الا ، رويته بوصفه جليلة .

م . لاس ، لامام ، فصل رعيته في العلم والحكم والعزم والحزم ، والرأي
والنصيحة ، والهدى والاسدود ، والتقى والارشاد ، والهمة والصلاح ، والجلود
والامانة ، والعدل والسياسة ، والشجاعة والرياسة ، والعبادة والرهادة ،
الى ما سوى هذه الفصائل التي كانت من اخلاق سيد الرسل « ص » ،
ولا شيء كان المتقدم على سواه ؛ والسابق دور غيره ، والمدعي امامة
الخليقة ، وخلافة سيد الرسل ، وانه تحب طاعته على الناس كلهم ، وتحرم
معصيته عليهم ، وكيف يحصل به الحفظ لحقوق الله وحقوق عباده ،

وكيف تحب على الناس طاعته واتباعه ، وكيف يكون لهم القدوة ، وبه السلوة ، وكيف تحصل به السعادة لهم في الخيبتين ، وغيره فصل واعلم واعدل واحكم ، واهدى وارشد . ولو صبح ذلك جدر ان يبعث الله رسولا وفي الناس من هو احق واليق ، واقدر على اداء الرسالة واقوى ، ويحور ذلك في الامامة دون الرسالة ، على نهما معاً للاتسلاح والهداية والارشاد واقامة الدلالة للعباد .

فإذا كان العقل هو الحاكم بأفضلية الامام ، فإن نبدأ حكم العقل ، رعاية لفئة من الناس اختاروا المفصول فقدموه ، ولا نجل في تصحيح عمل اقوام لانعرف اعراضهم في ذلك التقديم ، او نعرف تلك المقاصد ونتجاهلها اعضاها ، او نغاضيا ، ونخالف الوجدان والحجى عمى أو تعاميا ، لعمر الحق لا يرتضى ذلك حكيم ، ولا يوافق عليه بصير .

ومن العريب ان يقول ابن ابي الحديد على فصله في دباحة كسائه شرح نهج البلاعة : وقدم المفصول على الفاصل لمصلحة اقتضاها التكليف . وإن غرابة هذا الزعم من جهات :

الاولى : انه نسب هذا لتقديم اليه جل شأنه ، وابا هو من الناس .
الثانية : انه ادعى امرأ خالف فيه العقل والوجدان والفطرة وسيرة ارباب العقول .

الثالثة : انه نسب هذا التقديم الى المصلحة ، وليست شعري ما كانت تلك المصلحة الي اقتضاها التكليف في هذا التقديم ، سواء كانت من الله أو من الناس ، وليته صرح بها بعرف صحة قوله . ورهان دعواه .
وإذا كان المقصد من الامامة التي تجمع حول لوأها في الاسلام اجمع ، والتي هي مطهر السلطتين ، ومجمع القوتين ، صلاح البشر ، كما هو الشأن في السوة ، فهي يحصل لغرض المطلوب منها بالمفصول ، والافضل موجود بين الناس ، دال بعلمه على احقيته وبفصله على اولويته .

وما السبب المبرر للعدول بالمفصول عن الفاصل ، وبالمقص عن

الكامل ، وهما موجودان معا في البرية ، ومعلومان لدى الخليفة ، ليت شعري
 أكان المفصول اكرم عند الله واحب اليه وان لم يكن اتقى واصبح ،
 واهدى واصبح ، أو يختار الله لعباده — وحاشا قدسه — غير الاصلح ،
 ويرشده الى غير الاقوم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أو نقول .
 ان الناس اعرف بالاصح من نارهم ، واهدى للصواب من العالم سرائرهم
 وصبايرهم ، وصالحهم وطالحهم ، وعسى ان يأتي يوم ينبري لناثئة يحملهم العباد
 والعصية لنا وجدوا عليه الالباء ويرعمون ان الخليفة اعرف من الخاق ،
 ولبرية اهدي من الباري ، في انتقاء خليفة ، واختيار الامام ، أو ان الناس
 اهتدت الى واجب الامامة فاختارت الامام وحمله اللطيف تعالى فاعمله .
 وهل عاب عن أولئك — وامله لم يجب — ان في دعوى تقديم المفصول
 على الفاصل طعنا في عدل الله تعالى وحكمته . ولطعمه في بريته ، وهدا هذا
 الاثرهم بهذا القول وان استمر باطلا ، ورم المس قدس اللطيف تعالى ،
 أذن فيه تصحيحاً لأعمال طائفة ، ونزهاً لآخرين ، وهل كانت نقيّة
 اعمالهم أهم من تقديس الله تعالى ونزيمه . أفيصح ان يكون البشر أحب
 الينا وارفع لدينا من خالق البشر .

وهذا الوجدان أمامك واعيان مشهودك ، فدا ترى لو قدم الله البصير
 أحدر رعيته بورية ، وكاب مقدرة واحداة في غيره اوفر ، وللقصاء
 فاصلا ، وفيه فسي ، ولم يكن شيء وراء استار تحوي حكمته ، أو هل
 يدع رب العالمين راححة ، ولا فهم المعتدلة ، فكيف اذا كان
 سبه المقدم الى من أحروه كسمة جاهل الى لعالم . والعلي الى انكي .
 والحان الى اشجاع ، الى ماسوى ذلك من التدهوت في السمة بين الصفات
 السامية والذنية ، وان من اليقين ان الافضل صلح له في الحياتين ، فمعد
 يبلغ ما الخجود الى ان يختار لانفسه الدون . ورنصى الاقل بفعاء ، والادنى
 محلا ، على ان الاعلى والارفع ، والافضل والانفع قربت لتساوي ،
 وليس دون امامته حاجر الا طاعة الناس وابقياهم .

الامام معصوم من الذنوب

للإمامة نظرتان ، نظرة إليها باعتبارها منصباً إلهياً ، بقدها الله تعالى من يراه من عبده أهلاً لها في كفايته ومقدرته ، وعمه وحملاته ، ليقوى على النيابة عن الرسول في أداء وظائفه ونظرة إليها باعتبارها منصفاً رمزياً ، وهي إمامة بتسمية لباس . يتولاها من استولى على البلاد العالية والرهمة . أو بالاعتقاد والرعة ، أو بالوصية والعهد .

فالإمام على النظرة الأولى إذا لم يكن معصوماً من الذنوب ، مطهراً من العيوب ، بقياً من اردائن . متاهماً بالعصائل . وليس بأهل لأن يقده اللطيف حل شأنه هذه الرعامه ، ويحموه هذه الكرامة ، ولا يصلح لأن يسوب عن الرسول في أداء وظائفه ، وإن يقوم مقامه في تفديده للسلفتين وقبضه بيد من حديد على القوتين . بل لا بد من قدسه تعالى أن يقده هذه الرئاسة العامة ويصب هذه الإمامة العظمى إحالي عن تلك الصفات والملاكات العلوية ، وترك إحالي فيك لسميت نهديسة ، وإحالي وإحالي موحودان معا في البرية . ويمكن لاساس كل واحد منهما ، والرضوح لزعامه كل فرد منهما .

وأما الإمام على النظرة الثانية ، وهو الذي كونه انصدف ، وقدمته الطروف ، أو قومه الاعراض ، من دون نظرة لصاح العباد ، ورعاية بلهدي والرشاد ، أو قدمته مق ليد القوة من سبعة ، وعاصدته القوتان السيف والماب ، وهما اللتان يقصيان على لبطرة للصالح ، والنهضة على الخلاف ، فانه لا يرحى منه اصلاح الامة ، ولا هدايتها لسبل الخير والرشاد ، ولا يؤمن منه القضاء على الجبهة والصلالة ، والسكر والفساد لانه ناقص بالذات ، عار عن ربيع الصفات ، ولان الطروف والصدف ، واجدود والسلف ، لم تكونه لتلك الغاية العالية ، ولم تؤهله لذلك المقصد

الاسمى ، واهم رشحته للرياسة والسلطان فحسب .

نعم ربما كانت الصبغة احياناً للجدعة والتعمية على السذح والسطاء صدفة خلافة وامامة ، بل اعتماد الناس من مثل هؤلاء على الكبرياء والجبروت ، والسفك والفتك ، والعيث فساداً في الارض ، وانهب بالقرود والقبود ، والميسر والقهر ، والتهرع لمعاذلة الولدان ، ومنادمة الحور الحسن ، وعقد مجالس الدهو والطرب ، ومعاطاة مئة الفسب ، الى امثال هذه الشهوات ولذات ، والمرح والمجون ، والفسق والفجور ، وانتهاك الحرمات . وارتكاب المحرمات .

بل يرى الناس ان الامام الصالح من هؤلاء من لم يجهر بهذه الموبقات والكثائر ، ولم يتظاهر بتلك المنكرات والجرائم ، وإن اناها سرّاً ، أو قاربها صدفة ، وأما اعتصاب الاموال . وسك الدماء ، وهتك الحرمات ، في سبيل تأسيس عرشه ، أو تأكيد ملكه ، فلا يرويه مخالفة للامامة ، وشيئاً للرعاية ، ومحاربة للشرعية ، وبقيت العروش الدين . فكان الشر ما خلقوا الاطعمة لجشعه ، وللمعة لامديه ، وما حاتم لشرعية الا لتكون كرة يلعب بها كيما شاء .

وهذا دون ان يكون عالماً بالشرعية ، عاملاً بسواميسها ، وابن هذه الامامة الرمنية من تلك الامامة الالهية ، وابن من كانت رعته بالملك والسلطان ، ممن كان اختياره لقطعاً بالعباد ، ووسيلة للصالح والرشاد . فلا بدع لو كانت العصمة في الالهية لربماً ، وفي الرمنية حراماً ، وما بعد ما بين الامامين في الاختيار وفي الصفات والاثار .

فلا غرابة اذا لم تر الناس العصمة في الامامة شرطاً ، ولطهارة من العيوب وصفاً ، لانهم اعتادوا من اول يوم على اولئك الذين تعاقبوا على المنابر ، وترعوا على العروش ، فتهتك الحرمات ، واجترحت المحرمات واريفت الدماء ، وايجحت الاموال ، قرابين لسلطانهم ، وصدحاياء لتيجائهم وابن العصمة من مثل هؤلاء !

واما الشيعة فقد نظروا الى الامامة من يوم انتخابها عما اقتضته المصلحة في تشريعها ، واللفظ في تحميمها ، واقاموا البراهين على لزوم العصمة في الامام من الدنوب ، والطهارة من العيوب . شير الى بعضها استطراداً ، وقد قامت تفصيلها كتب لكلام عامة ، والامامة خاصة .

« الاول » ان الله حل شئنه حين اختار رسوله الكريم « ص » للعرف العالمية ، وترك شريعته لتكون الديموس بشير اجمع الى يوم لقيامة وهل تركها ليقول ويعمل فيها كل احد رايه وهواه . فتكون الشريعة آراءً واهواءاً ، ومذاهب وخلا ، او لتبقى واحدة في الخلال واحرام . حلال يحد حلال الى يوم القيامة . وحرامه حرام الى يوم القيامة .

فان كان الاول فالشريعة لم تنق على ما حاهها الرسول صلى الله عليه وآله ولا تصح نسبتها اليه ، لانا على يقين بان الدس عمداً وحظاً قد قالوا ال وفعلوا على خلاف ما صدع به الرسول الكريم ، وهذا لا يلائم اقوال بوجوب المحافظة على الشريعة كما جاءت ، وان حلاله وحرامه باقيد الى الابد على ما قال وأمر .

وان كان الثاني فلا بد ان من ان يقول بان الله حين اطلقه قد جعل لهذه الشريعة حافظاً عن العتس بها ، ومسيراً لها في كل زمان دور انقطع ليستمر حلالها وحرامها على ما نزل به الروح الامين من رب العالمين ، وصدع به سيد المرسلين ، الى قيام يوم الدين .

فإذا اعتقدنا بأنه تعالى جعل له حافظاً عالمك بدقائقه وخصوصياتها اتقى كما هي على ما هي ، فلا يحجب من ان يقول : بان ذلك الحافظ العالم يجب ان يكون معصوماً . لئلا يعتمد أو يعطى في نقض الاحكام وبيانها على غير ما حاه في الشريعة ، ويوقع الدس في المحلقة ، وقد اراده الله للعواقبة . « الثاني » بما نقول بوجوب الامامة كما قلنا بوجوب الرسالة ، حاجة البشر الى الامام ، فلو كان الامام غير معصوم من الدنس لكان كواحد من الناس ، فاية فائدة ادن في جعله اماماً لهم ورئساً عليهم دوعهم ، وهم

متساوون علم وعملًا ، عمدًا وخطأً ، وليست فيه مبرة عليهم ليجتاجوه فيها ، ويتحجوا اليه من اجلها . وان لباس في عى عن مثل هذا الامام ، بل هو المحتاج اليهم ، فلا يستغنى عن المعلم فيما يحمله ، وعن الرادع فيما يرتكبه من محبة الدين ، فاذا كان معلمه ورادعه ايضا غير جامع لقصور العلم وغير عادل من ملكة تسمية ، كان ايضا غير عي عن المعلم المرشد ، والواعظ المذكر ، وهكذا الى ان يتهى الى لعالم بالشرعة كلها كما جاءت دون معلم من اساس ، والى لعادل الذي لا يقترف لسيئات قولًا وعملًا ، خطأ وعمدًا ، دون راحر ورادع من البشر . ليستغنى بذاته عن التعليم والتثقيف ، واوعظ والصبح والردع ، والا لتسلسل .

فالامام لعالم بالشرعة كلها ، والمعصوم عن الدسب في الخطأ والعمد ، يحب ان يكون في الامة على اي حال ، فاذا دلنا البرهان على وجوده ، والعيان على وجوده ، فمادام نجد عنه من ول يوم ، ونغالط انفسنا في اوجوب مرة ، وفي الوجود اخرى .

« الثالث » ان الناس بعد انتقال سيد الرسل الى الرفيق الاعلى اما ان يكونوا كالكهنة ثم قد ارتفعت عنهم التكليف ، ولم ترتفع عن لبشر قسهم أبدأ ، فتكون الشرعة الاسلامية وقتية منوطة بخيرة الرسول الاكرم ، ليس لها قابلية الدوام مادام البشر .

واما ان يكونوا قد اصبحوا علماء في لشرعة عدولا في لعمل ، كما كان عليه صاحب الرسالة في عمه وعمله .

واما ان يكونوا كما كانوا قد خلطوا عمًا وحملا ، وعملًا وصحًا وآخر سيئًا ، وهم لم يحالفوا العهد الاول الذي هم عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وما قبله .

ولا يرتاب دول في ان التكليف لم ترتفع ، وان لباس لم يعودوا علماء لا يحملون ، وعدولا لا يعسقون ، بل شاهدين كما هم عليه من العصور الاولى قد جمعوا بين لعمل لصالح والطالح ، ومرجوا بين العلم

الواضح والجهل الفاضح ، وهم ادن في حاجة الى عالم لا يجهل ليعلمهم ما يجهلون ، والى عادل لا يقرب موقفة انداء ليردعهم عن المواقف ، ولو كان مثلهم في العلم والعمل لم يصلح للتعليم والارشاد ، ولا للرجوع والردع « الرابع » اننا نشاهد في الناس الظلم والفتن والفساد ، وهل يأتري قد رضي لهم الجبار سبحانه تلك الكبائر العظيمة بعد غياب سيد الانبياء عليه وآله السلام عنهم ، وتركهم وانفسهم يفعلون ما يريدون ، أو أتى عليهم تلك الكبائر والخرائر ، ولغو احش ما طهر منها وما بطن ، ونصب لهم من يدهم على طرق الرشاد ويردعهم عن سبل لقي والفساد ولا ريب ان اهل العباد وارضى لهم بما يختارون ويفعلون قول لا يرتضيه العدل ، ولا يقره العقل .

فلا بد إذن أن يكون تعالى قد نصب لهم ديلا هاديا وناصحا مرشداً فإذا كان هذا الدليل يحظى مرة ويصيب اخرى ، ويعد نارة ويحور اخرى ، كان عندئذ الحق من الناس بالردع ، واخرى بالرحم ، ولا مندوحة من ان يكون هذا المنصوب لدلالة والامامة وارذع واسع معصوماً ليصلح لما نصبه المظيف تعالى له . ويقوم بما هيئه له من النصيح والرشد والصد عن الفساد والمنكر .

« الخامس » إن فاقد الشيء لا يعطيه . وكيف يهب المال من لا يجده ، ويعلم الناس من يجهل ، ويعدل بالناس عن القناخ من طمع عليها ، أو لا يؤمن من ارتكابها ، ويهدي الناس الى الحق من سلك سبل اضلال أو من حاز عليه سلوكها .

وان الامام هو القدوة والاسوة . وعليه عهدة لتعليم والتقويم ، والاصلاح والارشاد ، والردع والرحم . فإذا كان جاهلاً مخطئاً عاصياً ، أو لا يؤمن علقه وشططه لم يحصل به لغرض المشود من الامامة . ولا يحصى ادن من ان يكون اعلم الناس واصلحهم ، واهداهم وانصحهم ، والمعصوم عن الرل والخلل ليصلح للقيام بوظائف الامامة . والا كان

بالتعظيم الأولى، وبالأثر في الحدود عليه أخرى، «أمر يهدي» إلى الحق الحق ان يقع أم من لا يهدي لا ان يهدي» .

«السادس» ان الامام اذا كان كغيره من الامة في الخطأ والعصيان وجب على الناس الانكار عليه مبرراً عن المنكر، وكيف يجتمع انكار الناس عليه مع امامته عليهم، وكذا يجب مخالفة اذا أمر وبهي مما يخالف الدين، مع انه تعالى أمر بطاعة الامام في قوله سبحانه «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم» واطلاق الامر بالطاعة شامل لكل امر وبهي وان خالف الشريعة، ونحن ان خالفنا امره وبهي خالفنا امر الله تعالى في طاعته، وان وافقنا امره وبهي فمخالفة الشريعة خالفنا امر الله تعالى في طاعته، فامر الله تعالى في مخالفة الشريعة لا محالة، فامر الله تعالى في مخالفة الشريعة لا محالة واقفاء أو خالفناه .

وعنه نقول ان الامام لا أمر وبهي في مخالفة الشريعة عمداً، ولكن بقول ان الائمة الذين استولوا على الرقاب قد أمروا في مخالفة وعملوا بها عمداً وقصداً سرّاً وجرراً، والتأريخ اصدق شاهد، هؤلاء الامويون والوليد بن يزيد لم يخالفوا في مخالفة الحق والدين، ولكن انكرت تلك المخالفة فقد خالفت العيان والوجدان، بل قاومت ضميرك وحسن، ولئن حاربنا وقادنا، انه لا يفعل ذلك عمداً، ولكنك لا تنكر انه يفعل جهلاً وسهواً، فنحن لا محالة اذن دين الحجة لهضم في المخالفة والموافقة وهل ياترى يريد الله الامام للطاعة أو للعصيان، وللهدي أو للصلاة . وكيف توقن بان الله يأمر بطاعة امام يعصي الله أو يرشد الى عصيانه ولو جهلاً، وواضع الطاعة والمعصية . وسئل الهدي والصلاة .

يبد لنا لا نتخلص من هذه المخالفة القطعية الا بان نقول : ان الله سبحانه أجل من ان يأمر بطاعة العصاة وارباب الجهل، وارفح من ان يرتضى اماماً يأمر الناس بالجهالة والصلاة، عمداً وقصداً أو سهواً وخطأ فلا يرتضى تعالى للامة امامة غير الامر بالهدى ودين الحق، العنامل

بالصواب والصدق ، ولا يأمر الا طاعة من سار على هذا السبيل ، ونسح على هذا المتوال ؛ وهل يكون ذلك غير المعصوم الذي لا يطق بغير الحق ، ولا يعمل بغير الصواب . ولا بد داخل رأيه وقوله وسيرته وعمله خطأ وسهو ونسيان وعصيان .

« السامع » اما تختار الامة اماماً طليحاً عليها على الحق ، وبصدها عن الباطل ، ولوحارت عليه المعصية ، ومخالفة الحق ، وموافقة الباطل . ثم نستيقن بحصولها على الفرض المطلوب به منه ، فنور ان يكون محطاً في يقول ويعمل ، ومن الذي يؤمنها من رايته في اعنائه واقواله ، والكن اذا كان معصوماً من الوقوع في مساوي الذنوب ، ومراً من بواقص العيوب ، أمت الامة من المحلقة ، وابتقت بالموافقة ، واعتقدت بحصولها على ما تريد من الجمع على الحق . والصدق عن الباطل .

وهذا غرض من فوض شأناً يتبدل به على وجوب العصمة في الامام من رحس الذنوب ، وطهارته من دس العيوب ، فلا عربة ادن لو اعتقدت الامامية بوجوب عصمة الامام .

نم لو كان مثل هذا الامام غير موحود بين الناس لحق الدفاع عن هذا الوجوب ، لانه يستحيل عليه جل شأنه ان يكلف عبده معرفة من لا وجود به ، وطاعة من لا عين له ولا اثر . فهذا يجب ان يقول بانه معروف ، كما سنشير الى ذلك :

يجب ان يكون الامام معروفاً

قلنا ونقول : اي اراد الله سبحانه الامام خليفة الرسول « ص » ليسلك بالامة سبل الحق ، ويهديهم على مذهب الرشاد ، ويخرجهم من ظلمات الجهل والصلال الى نور العلم والهدى ، ويصدهم عن معاصيه وعن المنكر والقساد . ومن ثم اوجب تعالى على الامة طاعته ليتحصل به تلك العبة العظمى ، وتنبى به الشريعة بمحفوظة النواميس ، ولوعصته وحالته عدلت

عن نهج لصواب وسبيل الهداية ، فلا بد ادن من ان يكون معروفا في الجنس والقبيلة والبيت . لتسهيل معرفته على الناس . لقريب منهم والبعيد ويمكن ان يصلوا اليه دون كلفة وعناء . ولو كان محمولا في ذلك لتعسر على الناس عرفانه والانتباه اليه ، فلا يحصل بنصبه الفرض المطلوب والفائدة المتوخاة . من الارشاد والهداية والتعليم ، والردع عن المنكر ولغو الفساد ، وكيف تنصب الله تعالى عبداً للاستضاءة بنوره ، ويأمر بانباغ هديه وفعله ، واستماع قوله ، وهو محمول الجنس أو النسب ، ويجعل العباد يتحبطون في القاتل والليد ، ويفحصون في الاجناس عن شخصه فانه خلاف اللطف والرحمة بعباده ، وخلاف القصد من نصبه .

ولست هذه المعروفة في الامور المذكورة وحدها كافية في تشخيصه بل لابد من امور اخرى تعينه دون سواء . وترشد اليه دون غيره ، مثل كونه منصوباً عليه ، أو أنه صاحب معجز باهر ، ولو لا ذلك لما قامت الحاجة به على الناس وتيسر لهم عرفانه وتشخيصه .

من أهل الملة

اذ وجب ان يكون الامام افضل الامة والمعصوم من ائدنب ، فلا بد ان يكون من أهل ملة الرسول صلى الله عليه وآله ومن ابناء شريعته فانه اذا كان خارجاً عنها لم تحصل الشروط المقررة ، ولا الفائدة المقصودة وكيف يكون امام الامة العالم بالشريعة الاسلامية . العامل بها ، والهادي اليها ، والذال عليها ، وهو من غيرها . وكيف يجعل الله تعالى لاحد سبيلا على المسعين وهو من غيرهم . وهذا الامر بين الدلالة .

يختاره الله تعالى

تعتقد الامامية بان الامام يجب ان يختاره الله تعالى لعباده ، ودليلهم عليه ما سبق ذكره من انه اذا ان يكون الله تعالى قد رفع التكليف عن

البشر بعد انتقال صاحب الشريعة الى دار الخلود ، فاصبحوا كالمسالمين لا نظام ولا احكام ، ولا حلال ولا حرام . واما ان يكون البشر قد عادوا علماء في الشريعة عدولا بالمذات في القلوب واعمل ، على نهج ما كان عليه صاحب الرسالة ، فهم في غنى عن الدليل الهادي ، والمرشد للناصح واما ان يكونوا كما كانوا على عهد صاحب الدعوة قد جمعوا بين علم وجهل ، وصواب وخطأ ، وهدى وضلال .

فعلى الوجهين الاولين لا نحتاج الامة الى من يؤمها ، ولكن ان نضع التكليف أو علم الناس بالشريعة العلم الذي لا يشاركه جهل ، وعدلهم الذاتي الذي لا يساوره حور أو فسق انداء ، وهذا الذي لا يشوبه ضلال مران يحالفان الحقيقة ولعلم والوجدان

فإذا انحصر الامر في الوجه الثالث وجب ان يكون لهم امام ، يعلم علوم الشريعة كلها التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله ليقوى على تعليم الناس جميع ما يحفلون ، ويعدل في كل قضية حسبما اراد الله تعالى ونطق به شريعة الحق ليحمل الناس على شاكمة الدين ويردعهم عن الموبقات ، واقتراف السيئات ، وهاديا بنفسه ليهدي الامة الى الحق دون ان يمتري هداه شوب من شك او ضلال .

واين يجد الناس — لو تركوا وانفسهم — ذلك العالم اعلم ، والامام العادل ، الذي يجمع الامة على الهدى والحق . ويمنعهم عن السلوك في طرق الضلال والجهل ، وعما بها هم عنه الشرير المدير ، واني لهم معرفة هذا الامام الجامع ، ومعرفة محتاج الى اختياره في سيرته ومقدرته ، والوقوف على نواياه وسريته ، والاطلاع على علمه وعصمته .

ومن اختيار الناس لمن ملك ازمة الامور تعرف مقدرتهم ومعرفة في حسن الاختيار ، أهل وحدوا فيمن اختاروا إماماً جمع الصفات الفاضلة وتخلي عن الخصال السافلة . معصوماً عن الذنوب ، بقيا من العيوب ، ورب الناس ان الناس لعاززة اختياراً أو اضطراراً عن اختيار الامام

المتحلي بتلك لفصائل النفسية العلية ، لي تميزه عن الامة جمعاء ، مثل كمال العلم والحلم ، والشجاعة والكرم ، والسياسة والكياسة ، والفصاحة والسماحة والزهادة والعبادة . ولامادة والهداية ، والرشاد والصلاح .

والمتحلي بالعصمة عن الرذائل البدنية ، فلا حزن ولا صلاب . ولا بخل ولا حن ، ولا حور ولا ظلم ، ولا غفلة ولا سيبان ، ولا خطأ ولا عصيان من ولا كل مقصدة وعيب . ودنس ورجس ، لا في حبه ولا بسه . فهل يا ترى يقوى البشر ، آرائهم ومعارفهم على انتخاب مثل هذا الامام ، ولو كانوا قادرين على اختياره أو إيجاده ، فإدخاله في متحواه ويختاروه ، ويقع له أو يقع ، وهل كان فيمن ترع عني دست الحكم امام جمع تلك الصفات . وحار هذه الملكات . واستصعب الامة وفادها الى علم الصادق والهدي الصحيح . وحفظ الدين من لتلاعب كما جاء به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ، وكان القدوة للامة في حصانه واقواله وافعاله ولو فرض محلاً ان في الناس من يعرفه الناس جامعاً بمفصائل كلها ، بقياً عن الرذائل جميعها ، كما اراد الله ورسوله . دون ان يبص على امامته الرسول عن الجليل تعالى واكن اني لهم باختر الكلمة عليه ، ومن الذي يحمل الامة على هذه الوحدة ، ويسوقهم الى الرضى به ، والاراء المختلفة والاهواء مضطربة ، وفي الدس طالب للحق ، ساحط على لاطل ، وفيهم عابد للهوى ، مطاوع للنفس . يعيل معه ، ايماً مالا ، والمعربات حمة ، وفيهم جاهل بالامامة ومراياها ، وقد ر الخاجة الى جامعة الامم ، وهو من اتباع كل ناعق . يقوده الرئيس والرعي ، لا يدري أبعد الى خير أو شر ، وإلى الصلاح او الفساد .

ومنى اجتماع الناس اختياراً على ناص وهو اربع للعوس ، واميل للاهواء ، حتى تأمل فيهم ان يجتمعوا على حق ، وهو هيد عن الميوس والرفائب ، فأتك لو سبرت تأريخ الخلافة الاسلامية من بدء الخلافة الى عهد سقوط الخلافة لم تجد خليفة اختارته الناس تأخذ الاراء ، واجتماع

الاهواء ، سواء كان من أهل الضلالة والجهالة ، أو من ارباب العلم والایمان ، فليس الاختيار من الله الا ائمة خاصة تتفق في الغاية وقد تختلف في القصد ، أو للسلف الماضي والخليفة الراحل ، وبمضى الامر على الناس رضوا أو ابوا ، قبلوا أو رفضوا .

فاذا كان الشر عاجزاً عن معرفة مثل هذا الامام ، واحتيره . لو كان عرفاه واختياره راجعين الى الناس ، وحب على الله حل لطفه لطفاً بعباده ان يختار لهم ذلك الامام ، احدى للحصول العلوية ، ائمة عن الصفات الدنية ، فانه ان لم يختار الله تعالى لهم هذا الزعيم . وترك الامر لهم كما يزعمون . وهم بين امرين اما ان يعملوا هذا الواجب ، فهناك انصوبة في الزعامة والنظام والاحكام ، واما ان يعملوا بان يختاروا . كما عملوا بزعمهم — فالامام عادل مرة . وحائر اخرى . وعالم طوراً ، وجاهل ثارة وهاد طوراً وضال اطواراً ، وليس هذا فرصاً محضاً . واحتمالاً صرفاً في التسمي باسم الخلافة بل يعرف هذا من تاريخ الامامة ورحالها الذين تعاقبوا على العروش . ولكن اين هذا من اختيار العلم تعالى لعباده ، ولابد له ان يختاره ، فهل يختار لهم غير الافضل في خصله . المعصوم عن الزلل والخلل ، المنزه عن العيب والقص ، لنا وحدناه تعالى حين اختار لهم الرسل والانبياء من لبشر ، وما الخلافة الا نياية رسالة . ولو كانت النياية آنية باختيار الدس لكات رسالة مثلاً . واي فرق بين صاحب التنزيل وصاحب التأويل ، اذا كان الاول لا يصق عن الهوى ، وانف هو وحي يوحى ، والثاني لا ينطق الا عن تعليم وتعليم من صاحب الرسالة وعسى ان يقول قائل : لاي شيء تحتاج في الامامة الى تلك المواهب القدسية ، والمذكات النفسية . والراية عن هاتيك السمات الدنية ، ونحمد الاسلام قد قام ببيانها ، وارتفعت اركانها . وحقق في شرق وغرب لواؤه وعلت حجته ، وارتضى الناس نظامه واحكامه . وعرفوا فوائد ، ولمسوا منافع ، وما اقتصر ذلك الا كبار اعارفه . والاعظام لقوابله ، على معتقده

حاجة ، بل ما ربح الامم تقديس شريعته الاحدية وتشيد بذكر محاسنها
الجميلة ، التي تقود العالم للإصلاح . وتسموا بهم الى معارج السعادة ، على
الذين همضوا غلامهم ، وتسيطر على الامة ما كانوا مثالا للقصاصات
والمعارف . وداعية الى ذلك الدين القويم خصائصه وفضائله ، وما كانوا حجة
حاشية تفصل حدود ادلة الخصوم بالخروج والراهين .

مقول في جوابه : ان الاسلام عالي الخجة بذاته . بن الحق بمعجزاته
جليل القمص بمواميسه ، فهو سير نفسه . ويصدق حجته ، وان وقف
ربانه مكتوفي الايدي ، وحملت دعائه عن اقيم بحجته . وانكسار ريسد
ان تكون حجته أعلى مما هي عليه اليوم ، وسيره السرع ما بين اياه . واهله
مذهب واحد . ويجمعهم رواق واحد ، ذلك لا يكون لالامام الجامع
لان حاجة الناس اليه في امرين جمعهم على اهوى ، ودعهم عن الصلال
والردي . ولو اجتمع الناس خاعة لامامهم على اهداية ، وكفوا عن
الصلالة والعبادة لرب الاسلام سائراً في المعمورة كالبرق الخاطف لانحوس
دونه الفقر والسحر ، ولا عدد ولعدد ، لانه يجمع عند دائر بين الخجة
في الدين وبين السيف والسنن ، وابن من يقف حائراً امامه وهو لقوي
في الخجبتين . والفق طع في الخدين .

على ان الله الاسلام بنسبهم لا يكونون كابنائهم اليوم ، يرى كل
واحد منهم نفسه اماماً في شريعة . وحجة في الدين . تصرف فيه كيئما
شاء وشاء له الهوى . دون دليل ثابت ولا حار من تقوى الله تعالى ولا
يرتدع عن جرائمهم المذمومة الا ان تكون له نفس تثنى ارتكاب الماثم
ان النفس لامارة بالسوء ، ولا يرى فعل الواجبات فرضاً لا مندوحة
عنه . بل لا يعمد لواحد ولا ينتهي عن المحرم الا بالادر الزر ، وقليل
من عبادي اشكور ، وابن هذا مما لو كان الامم بعالم يعامل . المعصوم
العاقل ، قائد الامة والمسيطر عليها . وبميسوط ايدي في تنفيذ الحدود
والقصاص والتدبير والتعزير ، فاك عدد لا تعرف متركماً للمكيدة

ولا ناركاً لعرض ، فهالك العمل بالشرعة نحدودها ، وسير نظامها
ويواميسها بكاملها ، وهالك الخيرات والبركات ، والأكلوا من فوق رؤسهم
ومن تحت أرجلهم . ولأمت الناس على نفوس ولا عراض وأنفاس
ذلك كله مركبة وجود الامام وسط منه واقترده على سير احكام
الشرعة كافة .

وان اساس كالتاس ، وكيف تحدد يوم يجتمعون في الارز ولاقوه
ويتباينون في المدارك والعارف ، ويتعاونون في الحكم والمعدل ، وليت
شعري هن يامل ذو بصيرة من مثل هؤلاء الناس ان يعرفوا الامام
الصالح ، أو يختاروه لوعرفوه ، ولئلا احتاروا رهة قصيرة الامام الصالح
اما الحسن المرتضى عليه السلام ولأن الوقت انماهم ليس . والظروف
حكمت عليهم بالبيعة له ، الا ما كان من نفر قليل عروب قدره واختارته
للصالح على ان كيف تحدد معه يوم من الامر وعلموا منه به سير
بهم على المحجة البيضاء وكيف وجدت الناس من هذه وقد قصور بيعة
امام الحق ابي محمد الحسن عليه السلام ، وفهموا عليه معاوية ، وات
تعرف من معاوية يوم كان على الكفر ويوم فخره الاسلام على انتطاهر
باعتناقه ، وراد في لطيف لمة ، ودر المنح على اخرج اهم رصوا يزيد
عن الحسين عليه السلام ، بل اراقوا دمه الراكي لارضاء شهوات يريد
واماوه على احذ تراه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان دم الحسين
عن دماء الفئة الكافرة التي قضى عليها الاسلام بدر .

اليس من الحق اذن او قلنا ان الناس عاجزة عن اختيار الامام العدل
حتى وان اهتموا ليه ، ودلتهم الامارات عليه ، وان الله سبحانه احق
باحتياره ليقطع بذلك دابر اختلافهم فيه ، وتشاخرهم على منصبه ، هد
فوق ما فيه من الصلاح لهم به . ولا يسعج الناس سبيل الاعتدال الا ان
يسلمهم لقد يرتعالي الاختيار ، وكيف راحم ساكوا سلا معوجة والاختيار
مسلوب منهم . وكيف لو كان الاختيار لهم .

ولقد اتان أئمة أهل البيت شخصية الامام وما به من حلال قدسيه
وما كان نفسيه في كثير من المقامات . واضهروا بحر الدس عن معرفته
واختياره وتتركوا وانفسه . ومن ذلك ما قاله ابو الحسن الرضا « ع »
« وقد بلغني ان الناس « تدرو » قد حاصروا في الامامة بالجامع يوم الجمعة
ومما قاله : ان لامامة احل قدراً . واعظم شأناً . واعلى مكاناً ، واعم
حاشاً ، واهد عوراً ، من ان يباعها للناس بعقولهم . أو يالوها « رأيتهم
أو بقيموا إماماً باختيارهم ، ثم قال في آخر كلامه : وكيف لهم باختيار
الامام والامام عالم لا يحسن ، وراعي لا يسكل ، معدن قدس والعبادة ، والنسب
والزهادة واعم والعبادة . لي ان يقول نبي العدل . كامل الحزم ، مصطلح
بالامامة . عالم بالسياسة . ممد ورض الفضة . فتم بأمر الله عز وجل . ناصح
لعباد الله ، حافظ لدين الله .

ثم قال عليه السلام . وان عدد دلائل حثارة الله عز وجل لامور عباده
شرح صدره لذلك ، وادفع فله ما يبع الحكمة ، وألهمه لعلم الله اما ، فلم
يعي هذه الجواب ، ولا يحجز فيه عن اصواب . فهو معصوم مؤيد ، موفق
ممد ، قد آمن من الخطأ والزلل والغلل ، يحصيه ذلك ليكون حجة
على عباده ، وشاهده على خلقه . وذلك فصل الله تؤنيه من يشاء والله
دور الفصل عظيم . فمن ضرور على من هذا فيختارونه . او يكون
مختارهم بهذه الصفة .

ومن ما نطق به ابو حسن الرضا عليه السلام عن نعت الامام
وشخصيته . وان الامام يهدي الفرد الامامة الى السعادة في الدارين . ويكون
امين الله على الدين وخليفة جدير بان يصير متجلياً تلك الفضائل النفسية
والمملكات القدسية . وان الناس ان عرفوا مداركهم ومعارفهم تلك الشخصية
الفذة ، ولكن اكثر الناس لا يعصرون ، وان لهم لو طهروا به ان حققوا
عليه ، فهل ياترى . بعد ان كانت الامامة نراما . يعرف هذا الامام ويرشد
ليه وتأمير بطاعته وسمعته غير خافه سبحانه العليم سر أعباده وظواهرهم

وكفانا عن معرفة لئس بالامام من تعافى على احكم وسموهم حنفاء
وأئمة ، وكفى منهم مروان ، يزيد ، والوليد ، والامين وارايم الملقى
والمتوكل وعليهم فقس من سوامم .

وعسالك تقول . ان لناس من بدء الامامة ما كان لهم اختيار في الامامة
وان الامامة التي عرفها الناس ما كانت الا باعطة وامهرية أو بالاسمالة باليخص
والصفر . ولو كانت شورى حقاً لأمكن ان يختار الناس الافضل الاصلح .
فانا نقول : اذا كان الاختيار مسلوباً من لئس أو معلولاً عليه ، فعاداً
لا نقول : بان الاختيار اليه عر وحل في الامامة من بعده . كما كان
الاختيار اليه في الرسالة ، لان سلبه تعالى الاختيار من له د اوفق واصلاح
للناس من سلب بعضهم من بعض . إذ لا ريب بان اختيار العليم اللطيف
سحابه لعادته اصلح من اختيار الناس للناس ان سيدهم الاختيار وكيفية
وهم مغليون عليه .

الامامة لطف واجب

لا يمكن لاحد أن ينكر حاجة لئس الى الرعييم جامع لهم تحت راية
واحدة هدياً لهم الى سواء السبيل ولو لم تكن الامامة من اوجبات محكم
العقل ولقطرة لما نادر الناس بعد وفاة المصلح لاعظم رسول الله « ص »
— وهو بعد لم يحمر ولم تلجد — الى حب رعييم اعلم والا حصار نقول
ما امير ومنكم امير والمهاجرون . يرون الا ان يكون امير واحد على الجميع
وايه منهم دور الا حصار فلو لم تكن الامامة ، لقطرة البعوض العج من تحمير
لبي صلى الله عليه وآله لدى لئس مثلاً ، لامة ساعة واحدة بلا زعيم
ما اتسروا ليهاتر كوا الا الحسن ورهطه عنده مشغولين في شأنه واشتغل
لئس في امر الخلافة الى ان تم لهم ما ارادوه . ولم يدخلوا في الاستشارة
احداً من رهط الرسول صلى الله عليه وآله ولا من اعوانهم كانوا ليس
لهم ولا لاتاعهم نصيب في الامر بعد ان كان النصيب لهم كله لو كانت

لخلافة بالقربي أو بالفصل أو بالص

فإذا كانت الخلافة عن سيد الرسل صلى الله عليه وآله والامرة على المؤمنين واحدة عند لعقل والفرقة فلا بد إذن من أن نقول : انه يجب عليه سبحانه ان يصب الامام لطفاً بعباده وحواً عقلياً لانه تعالى خالق لعقل ورئيس العقلاء ولو ترك الاختيار لهم لحبطوا في انتقائه خبط عشواء أو كان الاختيار لقلة خاصة وهي تسير الامة لكانت الخلافة تمنا لمقاصد هؤلاء وما كان لعامة الناس خيرة ولا رأي كما كان ذلك كله .

فإذا كان الاختيار ليه حل شأنه قامت بذلك الحجة منه عليهم ، فإذا عرضوا عن الامام المختار منه تعالى كانت حجته لنافة ، وحجتهم المدخوذة لان اعراضهم يكون عن اختيار منهم لا عفة . وعن عم لا جهل .

من اللطف بعباده ان يصب لهم ذلك المار ولو لم ينصبه فتأهوا عن نصره السوي ، اذ يكون الاعقل والاحلال منه تعالى أو من ربه ألبست الحجة لهم عليه في هذا التيم ، والاحلال منه - وحاشا قدسه - في هذا الاهال .

فإذا ثبت ان يصب الامام واجب عليه تعالى وهل يليق بجلاله ونسبه وعظمته ان يهمل هذا الامر ، وان استترم هذا الاهال صلال برأيه ، ونويه عباده ، ثم يعبدهم على ركوب هذه الصلالة ، وركوبهم في مهاوي هذه الجهالة ، وهذه يد على عم صلام دين صلال من دون ان يسره بشهاب .

لا اراك تقوى على افناع عقلك وارضاء وحدتك فتقول . ان الله تعالى اعمل ما يحب عليه ، وترك ما لم يديه ، فلا بد إذن من ان يكون تعالى قد فعل ما يحب عليه ، فصب من به الهداية والامارة « يا أيها الرسول بلغ ما ارك اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » لان تمام تبليغ الاحكام واقامة النواميس وتنظيم موط بالخلف والامام . ولقد فعل الرسول وبلغ في عدة مواطن اطهرها يوم العدير ، فترك قوله تعالى

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً »
وعمالك تقول . إن المصوب هو الكتب المبين . لاسيما وأسمه تعصده
وتكشف عما القيس منه ، وتوضح ما اعلق فيه . فيقول في جوابك . إن
الامام لابد ان يكون بعد الرخوع اليه والامتثال لاوامره . والارتداد
عن رواجزه . موضحاً للحق . كاشفاً عن الحقيقة . فلا جعل بعد بيانه
ولا اختلاف بعد ايضاحه . فيه كشف المنهج ورفع الحيرة ، وجمع الكلمة
وتوحيد المذاهب والآراء ، وسجل والاهواء . وتوحد الامة وقد
اتبعوا الكتاب رائداً لهم . واسمه دليلهم . فقد اوفوا الى ثلاث وسبعين
فرقة . وقد سلكت كل فرقة وادباً . راعية ان فائدها الكتب ، فمن هنا
نعرف ان الكتب وان كان امة الا انه يمكن الامم المقصود الذي
نصبه اللطيف تعالى . بالجمع على اهدى . ويصده عن الردي . وبلاضح
والبيان واقامة الامت والروح بالاسس والاسس فانه لابد ان يكون هذا
الامام المصوب باطناً ، وان هذا الكتاب اصحاب . وهذا الامام لماطق
نعرف مقاصد الكتب اصحاب . ومعاري اسة لموية . لانه غير كافيين
في الوفاء بالدلالة والهداية . بل يمكن انهما ذلك الامام الناصق ، ومن
جره صفح لس من هذا الزعم صاروا واه ومذاهب . فانهم رجعوا
الى الكتاب والسنة معرضين عن المصالح في ايضاحها لمفسرنا اشكل منها
وعادوا يؤولونها حسب رأيهم وتمشت به الاعراض والاهواء . ولورجعوا
ايه لما ركوا اسل المعوجة . وعبروا على الله وعلى رسوله بهير هدى
ولا كتاب مبر ، بل لكانوا امة واحدة تدير تحت رايه واحدة . وحامها
مذهب واحد ، فلا مل ولا مل . ولا هوا ، ولا آراء .

ولا ادعئ تقول . لا يكفي في وجوب نصب الامام عليه تعالى قاعدة
اللطيف لجوار ان تكون هناك معاد في هذا المنصب .

لان هذا القول غير سديد . فان المصالح في نصب الامام محسوسة
ولفوائد ملحوسة . ولا يعرف مفسدة بينة تطعي على تلك المصالح والفوائد

لتريلها وتحمل مكانيها ، واحتمال الفسدة من دون برهان لا يدفع اليقين بالمصلحة . على ان لقرآن الكريم صرح في صفة تعالى للامام فقال « اني جاعل للناس اماما » وهو كائن هناك مقاسدا في جعل الامامة له كان منه تعالى هذا الجعل .

ولا احالك نقول . ان لامامة ابي تحب اذا احضر المظف فيها ، لكن يحور ان يكون هناك لطف آخر بقوة عنها مؤد ، وصايتها ، فلا تحب الامامة اذن على التعيين .

لان هذا ازمته غير مصيب ، فان نصب الامامة معوم يدي ارباب عقول السليمة ، وسيرة العقلاء على هذا المظف عند شاهد . واضمح باطق وذلك انهم يلجأون في كل عصر . وعرضون في كل عصر ، الى نصب الرعاه والملوك ، حذراً من مقاسد الفوضوية ، ونشئت الحكمة ، وتفرق الناس ، واما اللطف الآخر الذي نفى عن لطف الامامة فهم يعرفونه ولم يجد له أثراً . يرى ارباب ارحح عند تعادها في كسبي ميران . اما الناس فهم تجد عبر الشقاء والمؤس من يوم اعراضها عن صاحب هذا المظف ولم تجد . بسد تلك الشهادة . وقيلها من ذلك امثروا تجد غير اختلافهم بحلا ومداهب ونشئت الى صرائف وضرر .

فالشبهة اذن انما اعتقدت بان الامامة كارسالة لطف وجب عليه جل لطفه لبرهان العقلي هذا سوى يدعي العقلي واعتقدت بان الله تعالى نصب للناس الأئمة كما يبعث لهم الرسل لحاجة الناس الى الدليل ذي التوويل كما هم في حاجة الى الرسول صاحب التبريل . وكما يصلون او يصعدوا عن صاحب الرسالة ، يتبعون او اعرضوا عن حامل الامامة . فانه من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية .

وان هذا اللطف الذي دعاه تعالى الى صفة للامام بدأ هو الذي يدعو الى بقاء الامام ودوامه ، ما دام بشر . وما رامت حاجة . فالبرهان القائم على امامة ابي الحسن عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله لا يصل

قام على وجوب نصب بنده من بعده واحداً بعد آخر ، وهو القائم على وجوب نصب واحد منهم في هذا العهد ، فإن نصب الخواجر من ان يكون ظاهراً مشهوراً ، فلا بد ان يجعله نائباً مستوراً

الامامة على نوااميس العادة

إن الامامة آتية على نوااميس العادة - وعجاري السيرة - أنست تسمع وترى ان الملوك والرعماء يهتمون بنصب الخلف عنهم أيام حياتهم ، حفظا للدولة وحرصاً على المصلحة العامة ، وانقاء على الرعية ، أهل يكون ملك وليس له ولي عهد . أو رئيس جمهورية غير نائب . وقد اتسع اليوم نطاق قوانين الدول فخطوا نائباً حتى لرئيس الوزارة ، فانهم يرون ان جعل ولي العهد والنائب اقرب وسيلة لقطع الشغب والتنافس على الملك والزعامة ، ومنع الفوضوية ، وادنى لاطمئنان الشعب ، وامن البلاد .

بل لو كان لرجل صبية صغار واموال وافرة لاهتم في نصب الولي على صبيته حفظاً لاموالهم ، وحرصاً على تربيتهم . ولو اعفل هذا الرجل جعل الولي ، والملك ولي العهد لاعتقل ذلك اهلاً ، بل حماية من الرجل على الصبية ومن الملك على الرعية هد مع ان مثل هذا يجعل الوصي ، والنصب للولي ، انما يكون رعاية لشأن الدين صرفاً . وبعد دور بصرية الاغفال بحماية وحرماً . فكيف ذا كان في اولاية وخلافة الرعاية لشأني الدين والدنيا . واهم بين السلطتين الروحية والرمية . افلا يحب على الله تعالى أو على صاحب الرسالة عليه وآله لصلاة وسلام ان يرعياش الدين ويحفظا أمر الامة ، في اقامة خليفة عن الرسول كما هدة المألوفة ، وسيرة اعتقال الصبيحة ، فيكون به حفظ الشريعة عن عبث الالهواء والاآراء والاصلاح للعالم بأسره والختم للنزاع والمنافسة ، أليس الاهمال لنصب الخلف عند الاعتلاء جناية على الشريعة وامانة الامة ، إذ يجعل الشريعة عرضة للتأويل والتغيير والتبدل . والامة معرضاً للشغب والجدال واجلاد منافسة على

الخلافة ونراعى على منصب الامامة وحيثما يجدون انفسهم مضطرين الى الامام يخطون في اختياره ويتقدمون في انتحائه ويتحاربون في تعييده ذلك فيما لو كان الاختيار ايهم ولكنهم عادوا مقهورين على الاختيار معلولين على التعيين ومن ادى اختاره الناس قبل اختياره فاحتاروه بعد اختياره ، واست على عم تشريح اخلافة من هذه الاخلافة وكيف كان الاختيار فيها حتى عادت ملكا عضو صلا لا علاقة له مع الدعوة ولا صلة لها بالرسالة ولا رابطة لها مع الدين .

فاذا كان شأن السيرة ما ذكرناه ، ودأب عادة ما اوردناه ، في نصب الوصي والمولي ، فمادام نخرج الامامة عن تلك السيرة ، وهاتيك العادة وهي اخرى فان تجري على هذه النواميس ، يدما ريادة على اللطف حفظ الامة من حدوث الشغب والمساومة والمنافسة ، وبها قطع الاطماع من ارباب الاغراض . ومرضى القلوب ، وبها الابقاء على كيان الشريعة كما نزلت من السماء .

ولماذا اهتدى الناس بفرائض الى هذا الواجب ، فتسابقوا من ول يوم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى نصب الرعيم . والله تعالى قد سببه ولتي قد اهمله واغفله . فلم يرعيا في الامة واجب اللطف . ولا نواميس لسيرة ، وفي لشريعة واجب الحفظ والاحاطة ، اترى الناس حين مادروا الى نصب الخليفة كادوا اشفق منه على لشريعة والناس . أم أعرف منها بالاصلاح ؟ ام ماذا ؟

فاذا كان الاختيار لا يد منه في الامامة فلا ريب في ان الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله اهدى من الناس الى من هو الاصلح لها والاليق ، واعرف بمن هو الاحدر والافوق ، لان التجربة من الناس دللتنا على سوء الاحتيار منهم . لو كان لهم اختيار . فاهم اختاروا بعض من يفضله الله ورسوله ، ويفض الله ورسوله ، بل يفضله الناس انفسهم في قوله وعمله وسيرته وسريته ، ولو اختار الله ورسوله أحداً للامامة

لما اختار الواجب حلقه اليه واكرمهم عليه ، اصبحت بالامامة ، ائمه صلح
للإمامة في هديه وسنته ، وحضه ، واعوانه واعماله .

فالمسيح صلى الله عليه وآله اذا لم ينصب خليفة بعده اما ان يكون
قد ترك ما يحتمل الواجب على الله تعالى وتعالى ، وجعل ذلك الى اساس
وهو حيث قد صم - وحاشه - عنه وحده امته ، وتأي طم اعظم من تركه
لواجب ، الواجب الذي لو تركه لجعل الامه تنشق على فرق شتى ، وتعود
الى الجمل له والصلاته باسمه ائمة - وتضرب بعضهم بعضا على خلافة ، كما
وقعت في هذا المنطق والافرق والاقلاب على الاعقاب ، حين زعمت
ان الصادق الامين صلى الله عليه وآله قد اعقل هذا الواجب ولم ينصب
للإمامة اماماً وهادياً مرشداً .

ولو فرض محالاً ان الرسول - وحاشا قدسه - قد اعمل هذا التكليف
واساس قد عرفته واختاروا الرعي عليهم لانه لا بد للإمام من امام ، وقاعد
تجب طاعة هذا المختار ويحرم عصيانه عليهم وعلى من لم ير له امامة . وان
كان ذلك الامام من ذوي الفسوق والمجور ، لست ادري .

واما ان يكون الرسول الامين صلى الله عليه وآله قد دى رسالته
وعمل بما يوهمه عليه الواجب فقد صب خليفة لاشبهه ، واثار الى الامام
بعينه يقيما ، وهذا ما تقوله الشيعة ويعتقده . غير انه يجب علينا ان نعرف
ذلك الخليفة المنصوب والامام الموهوب ، ولى ذلك الامة رة . انما الاتي :

من الامام؟

بعد ان فهم ان نصب الامام واجب على الله وعلى رسوله ، وانهم
لا يتحملان عما يجب عليهما ، فلا بد انهما قد نصب ذلك الامام ، واقاما
للإمامة ذلك لما ، غير ان الواجب ان يعرف من اقامه الامامة ، ونصاه بخلافة
فان انتهى البحث بنا الى هذه المرحلة فنقول - يجب ان يعرف الامام
معرفة يقين دون ارباب . وتعلم دون شت حتى نقطع عليه وقلوبنا مطمئنة

لا يحتاج. وهم قال كان هناك أحد قام عليه البعض واختير للإمامة وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن بعده ولده الحسن ثم الحسين ثم أولاد الحسين إلى ابن الحسن العسكري، وهداً بعد آخر. ينص الأب علي أنه ويرث لأن إمامه في الإمامة وجميع الفصائل.

وبذلك لأن الإمامة بالنص والاختيار والخصم يدعيها أحد في الإسلام الا هؤلاء الأئمة الاثني عشر، فان ثبتت امامة منصوبين عليها فهي في هؤلاء الرهط والا فلا امام غيرهم باجماع المسلمين عامة، ادعيت عصمته والنص عليه.

ومعرفة الامام شخصه، وللدلالة عليه من وجهين. احدهما، النص وقد كرت كتب الامامية منه آيات كثيرة، وروايات متواترة في علي «ع» يطول البحث عنها، ولا يريد ان يعيد ذكرها وهي معلومة لدى الخاص والعام، كآية «انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا» وآية «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجز» وآية «وقفوه اهم مسؤولون» وآية الماهلة وآية «انما انت مدبر ولكل قوم هاد» وغيرها. وكحديث نص الغدير وحديث المنزلة. واحاديث انت خليفتي من بعدي، وحديث الثقلين وحديث السبئية، وحديث باب حطة، وغيرها.

وبعض هذه الآيات والروايات شاملة للحسين عليها السلام. وبعضها يدل على وجود امام في كل عصر. هذا سوى الاحاديث القائلة بان الأئمة من قريش والمخصصة لهم في بني هاشم. والمصرحة بانهم اثني عشر، وكثير نص بانهم من ولد علي وفاطمة وهناك طائفة صرحت باسمائهم واحداً بعد آخر، وروى كتب أهل السنة شطراً منها. على ان كل امام سابق ينص على الامام اللاحق نصاً صريحاً. وقد روت كتب الامامية وتواتر عندهم، فعسوه من دون ريب وشك.

«ثانيهم» المعجز. وهو ما لا يقدر عادة على الانبياء بمثله عامة البشر كما جاز الانبياء، ولعلك تقول انما يكون ذلك في ايامهم حيث يمكن

أوصول اليهم ومشاهدتهم . أما اليوم فلا ذريعة بنا الى المعجر ، وقول .
كففتنا آثارهم الموحودة وما روتة هـ كتب الفريقين متوارراً ، فانها تدل
بـ اد اعطيت النصف من نفس - اية ويرق مستوى لشرف كل صفة
كرامة ، فلم يحارهم أحد في غير - ولم دأبه في فض ، ولم يمانهم في مكرمة
ولا كرامة .

ولا اغالي لو قلت : ان نهج البلاغة وحده فيه الدلالة الكافية على تلك
الامامة التي هي مجمع القصاص ، ولا اصدحت دأبه ن سميته معجراً
بالاصطلاح ولكن .

أليس هو راس المصاحبة والبراعة الذي سبق فيه او احسن « ع »
ورسان هذا الميدان من الاوائل والاواخر عدا الرسول صلى الله عليه وآله
الذي اخذ عنه أمير المؤمنين تلك المعارف . حتى اصبح كلامه ووف كلام
المخلوق ودون كلام الخالي ، أن هذا ادن هو برهان القاطع !

أليس نهج البلاغة مطهر العلم الالهي في لتببات عن احداث المتأخرة
وقد صدقت الابام تلك لتببات لي وقعت ، ودلت على ان مشيه يستمد
علمه من فيض اليبوع الالهي ، أليس هذا هو المعجر حده ؟

أليس في نهج البلاغة من يسوع الحكمة الآلهية والمعارف الكونية
ما عجرت عنه اعاضم الفلاسفة المتأخرون فصلا عن ابناء عصره ، الذين
جهلوا الفلسفة والعلم ولم يشموا رانحتها ، وقد كشف العلم في القرون
المتأخرة كثيراً من تلك الدقائق المدهشة ، أليس هذا هو المعجر الدائم ؟

أليس في نهج البلاغة من منهج السياسة وعلوم الاجتماع ما يصلح لان
يكون نراساً يستضاء به لتدبير البلاد وقيادة لبلاد . فترشدنا الى ان ربنا
لسيامي المحمد ، والعالم الاجتماعي الخبير الذي لم يأخذ العلم من اواء الرجال
ولا من مسطورات المؤلفين ، وانما اخذها عن المدر الحكيم تعالى بواسطة
صاحب الرسالة ، ولو نظرت في عهده لما لك الاشر وحده اعرفت مبلغ علم
الامام في ذلك العصر الاعرج عن امثال هذه المعارف ، أليس هذا هو

المعجز الخارق ؟

أليس نهج البلاغة مجمع لأدب لعالية ، لى تربك أن مدعها لم يشكف هذا لقن ، وأن طبعه لتقياض لا يسأريه ولا يحاريه ند في الوخود إلا بدت هذا على انه الدليل الهادى ؟

أليس نهج البلاغة هو الذي فتح لأرباب الكلام البرهان العقلي انفى على وجود البارى تعالى ووجدانته ، بما لم يسبق له مثيل ، ولا عرفه الناس قبله ، وابتدعوا مثاله بعده ، إلا يرشدك هذا الى انه الحجة البالغة ؟ أليس نهج البلاغة النهج الذي حوى من التعريب في الجنة ما يمثلها ككانها مشاهدة للعيان ومن الرهنة من لار ما يحسمها لك ساطعاً لها ولا يكاد يسم من ورودها الا المحاصون ، أليس نهج البلاغة نهج الوعظ والتبليغ ، والرحر والردع وهو الرهان القاطع ؟

ولو حل الله عقدة من لى في فاصبح الذائق النصيح ، واستطاع ليراع ن يعرب عن تلك الموهبة الرباية ، لكان لعاجر عن وصف كل ما حواه نهج البلاغة ، الذي جمعه سيد لشريف الرضى طاب ثراه في تلك الصحائف الجديرة باسم « نهج البلاغة » بل هي نهج لعلم والمعارف ، نهج السياسة والتدبير ، نهج الاداب والاحلاق ، نهج الاحكام والحكم ، نهج الهداية والارشاد ، نهج لرهان لتوحيدى ، والدلالة على ذاته وصفاته .

هذا بعض ما ينصح به نهج البلاغة ، لست تراه معرباً عن تقدم مشيه بكل فصيلة . وتفوقه في كل مكرمة ، فتسامى عن المثل والمظير ، واستحق الامامة بالذات والصفات دون رأى من لباس واختيار .

ولما لم يجد اعداء المرتضى عليه السلام سبيلا للغمز فيه حاولوا أن يتذرعوا الى ذلك بالقدرح في نهج البلاغة ، وقد رعم اولئك الفر - تشبثاً بامور لا تصلح للتعلة فكيف للتعليل - بان في نهج البلاغة ما ليس لأمر المؤمنين عليه لسلام ، وان واضحه جامعده وبعض علماء الشيعة ، وقد احاب عن هذا لغمر ابن ابى الحديد في مواطن عديدة من شرحه ، وما

زان ذلك لو تر يصرب عليه حتى ساء اليوم . وحماهم على جمع شطر منه أمور :

١ - تطعمه من فئدة وطعمه فيهم ، وهم بوالوهم . ولا يريدون ان يطهر ابو الحسن بمطهر الهداء لهم ، لأن قدحه فيهم انكار لاماتهم وهم يهودون ان تسير الامور حسب رغباتهم لا على وفق الحق والحقيقة .

٢ - أشبهه على معارف سامية واخبار عن الغيب ولا يريدون ان يطهر ابو الحسن بهذا المطهر الرفيع الذي يقصر عنه الناس كلهم فكأنهم يريدون ان يكون المرتضى حسباً ينظرون اليه ويرويه فيه لاحتساب ارادة الله تعالى فيه ونصبه له .

٣ - تصرّحه بان الامامة فيه وفي أهله وهم لا يريدون ان تكون الامامة في اهل البيت ، واداسموا لهذا التصريح لهمم حقد امامة لسلف فكان الامامة انما تعي حسب اهوائهم واعزافهم ، فاداسموا ولا امامة ولا نص وأن قام عليها لف تصرّح ولف دليل .

وكيف يحى على اهل العرفان والبيان ان لشريف الرضي والعماد كلهم لو اجتمعوا على ان يصنعوا شيئاً من مثل نهج البلاغة في سبكه وبيانه وحكمه واحكامه ومعارفه وعنونه الى ماسواه ثم اشتمل عليه لهج بقصر واعن اقله وعجزوا عن حقوق عذاره فصلا عن محامته ومحاماته ألا تجده من البدء الى النهاية مائة واحداً . نعلو آثره نيك الهجة التي نعلو أواسطه واورائله . وان ذلك الرواء الذي نلحظه في حصبه هو الذي تنظرة في كتبه وحكمه ، وان تلك الفصاحة والروعة التي تهزل في دافع الحكم هي التي تعجزك في سائت الخطب والكتيب

ولو صيغ سبكه واحدة لو حدثتها محلوة كهم من تر واحد . أو رقم صحيحة واحدة لعجرت عن التمييز بين الفصول والجلل ، لوحدة الجلال في لسك والرواء في الاسلوب والاعجاز في البيان ، وانى للشريف الرضي ولاعظم الفصحاء والبلغاء ان يحاوره في اسلوب أو يباروه في بيان ، وهذا

كلام اشريف وكلام غيره من اسماء السلافة وسراة بني ابيدي . من هذه
كلام فصحاء العرب الذي احتفظت به الكتب بقرأه وبعبارة . انه ينسب عن
كلام سيد الفصحى ، الى الحسن بن مرتضى بن ، ويتأخذ عنه في قرنته فيه
وترى المون بينهما بعيداً ، ولعمري سعاداً ، شأن كلام المرتضى بن في قرنته
بالكتاب العظيم .

وقد جئنا أو نخبر اولئك لغير ان سمة بعض تنهج بعض العلماء
رفعة لاقدار اولئك العلماء واعطاه لاني الحسن عليه السلام ، اما رفعة
اولئك العلماء فله سبوه ايها من الكلام الذي يعجز البشر عن ان يشق
عباره ، وبين من استصعب محاراته في بيان . أو مماثلته في ادب
أو مصارحته في حكم . أو محاراته في نيل أو محاكاته في الشئ ، على قدره
جل شأنه والبرهان على توحيدته . وبعت رسولاً بما يستحقه من الاعلام
عن جهاده وجهوده ، وكريم صفاته .

واما الاعصام فيه لامام اهل السلافة فريض عليه السلام فله حملوه
في شيعته من العلماء الذين بدوا كل فصيح ونايع ، وعلم واديب ، وسيد سي
وحكيم . فكيف يكون ادب شأن ذلك الامام مقتدي ، والاستد للمثقف
وايم الحق بقدرات هؤلاء . انهم مدحوا وما قدحوا ورفعوا وما وضعوا
ولو قيل ان نهج سلافة محتضن بابي الحسن عليه السلام فما حظ
ولاده منه لقلنا ان الامة انصوحن تليها والعصمة عن ادب والبراهة
عن المقص اذا ثبتت لاني الحسن على ما نقوله لشبهة ثبتت ايها ، دلاليقون
احد بالفضل فيه وبين ولاده الاحد عشر ، وقد صن هو على الحسن
والحسين عليهما السلام ، ونص الحسين على السجدة والسجدة على الباقر
وهكذا ينص الاب على سبه الى ان دعي لنص من الحسن العسكري
على اسم المهدي المغيث عجل الله فرجه وسهل محارجه

على ان اللائمة الا تحريش اثاراً اخرى تشهد لادمهم من حمسة اميرة
ناعلم وكل فضيلة . وابن اب عن اصحبة السجدة ، التي جمعت بين تلك

المعرفة الجليلة بالحائق العظيم والخشوع والخصوع في طلب لعمري ، الذين
يجهلون لك دلة العبودية وعزة المعبود ، والرفعة في تقدس العقول ، التي تحلب
عطف المولى ورأفته ، وبين مديم البيان ، وصحيح العبارة ، وحال الاسلوب
حتى تحال أنه ما جاء بهذا السلك في دعائه لا للانعجار ، وهو انرفت في
تصفحتها ، وكررت لتلاوة لدعائها اعرفت انها تكون جامعة دعاء تحسب
بل هي جامعة ادب رفيع . وعمم هو ، واخلاق سامية ، وصح وارشاد
تهديك الى ازدياد لفصائل ، واكتساب الاحلاق وحسن سلوك والارحام
عن القائص والجرائم . وهي جامعة مود ، وروضة محسن . ومود من
العلم والاداب والاخلاق ، تحلى الصداق عن نقود . وتسير حلم للمكر
وتوقد الاحساس في النفوس ، وهدى بتأنيق ان تصوع تحت اسمائك القيمة
جامعة لها من معاد شتى غير رحل احتر فاحتر ، واخاص به فاستخلص
ولا تراه الا ذلك الامام الذي عنه مصوص . وهيرته ليعوت ، ودات
على امامته براهين العقول .

ولو قلت ان الصحبة تختص بصاير ريس نهدين عليه السلام قد حظ
بأبى الأئمة منها ، لقد لك ان الامامة اذا تمت لاحد تمت لجميع من دون
خلاف وارتباب ، على ان لهم اثر آخر أحرى تدل على تلك الامامة المقصودة
ولا اريد ان أدلك على جميع عديدة روت عنهم . وأنت في عصورهم
أوما قاربها . في علوم كثيرة ، وابواب مختلفة . امثال تحف العقول ، ونصائر
الدرجات ، والخراج والجرائع . واحتجاج طبرمي . والخصال ، والتوحيد
للصدوق طاب ثراه الى ما يكثر عداده ، أو في فقه خاصه ، مثل فروع
الكافي ، ومن لا يحضره الفقيه ، والتهذيب . والاسمصار ، لمحمد بن
الثلثة ، محمد بن يعقوب الكليني . ومحمد بن علي لصدوق ، ومحمد بن الحسن
لطوسي ، رضوان الله عليهم ، الى كثير عداها

بل انما اريد أن أدلك على اثر واحد جامع ، وفيه لقدح المعلى لكل
امام ، الا وهو اصول الكافي ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه

المتوفى عام ١٢٨ هـ ، و ١٢٩ هـ ، وقد عاصر لبواب بغداد في عهد الفيلة الصغيرى
وقد ألف هذا الكتاب بعبس في عشرين عاماً . واثب فيه سكل امام فى
كسبه وابوابه المتدفقة من الاحداث فى الاحلاق والمعارف والعلوم
والآداب والمواعظ والوصايا والحكم وما سواها مما يدين عن ان ذلك
المرات السبع يمتد من مروع الفيض الالهى . وان الناس طارعة الحقائق
عن مثل تلك النقائس توفستهم لهم . ووثقت عليه نظرة وحدة العرف
انه ان كان غير حاد به رسول صلى الله عليه وآله عن تحليل تعالى فهو
الذى عده ، وحفظه من سوء ، ووعته فلوهم . وصفت به اسمهم .

ورحوت من ان يوسر بعض اهل هذا كتاب سر رائد . يتطلب
لجنة الفيت ، ومستهل قصور ، وميت الحق . والرائد لا يكسب اهل
حكيم نفسه . يستحلى هذه الحقيقة وتعرف حلى الحق ، فان من استهدى
هتلى ، ومن استرشد رشده ، والله عز وجل لا يصيب مما لا يجعل به
حجة ، ويهيم . رآ لا تقم عليه دلالة ، وبوقد مصباح لا يجعل به
نوراً للهداية .

وكفى دلالة على امامة هؤلاء الرهط . لاما من بعد الجود وعلى
الهادي ، عليهما السلام ، فان الجود صليح باعد الاممة وهو ان صبح
والهادي وهو بن سب بن من . وفرد صبرهم من العلوم ما نأ عن اهل
خزانتان لهم الله تعالى . لو كات الامامة من غير الله سبحانه سكان
وما بهذه الس في به لتعلم للقرعة والكتابة . وكيف يكون شيئاً ما طلا
في العلم لا يقع ، وبجراً اخرآ في كرامة لا يفس ، وشجراً مشمراً
في الفضائل لا يحكم . فبش شعري متى تعاند تلك العلوم والمعارف والادب
والاحلاق لو لم يكون امامين ، يستمدان من الفيض الاعلى ، ومن اين
خذنا تلك لفصائل انسانية لي يذا فيها الائمة . وأبوابها مانا عنها وما
صغيران ، لو لم تكن رفيقها بالعبية الزمانية تلك بريد الي جعلت من
عيسى نبياً وهو في المهد . ومن يحيى حكماً وهو حي .

على ان الجواد عليه السلام قصه الله ايمه وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وان هذه السن لوجد في التحصيل لما بلغ درجة عالية في الفضل فكيف يؤخذ عنه الفصل كله .

مافائدة امام ممنوع عن التصرف

ما اتفق لاحد من الدين فالت شيعة باقامتهم به تصرف في الامور امرأ وبها ، واستطاع ان يصحح الناس على ان نصته لشرعية وصاحب لشرعية وهذه الاحكام ، وبواميس الاسلام ، حتى أمير المؤمنين عليه السلام ايم سلطانه ، بل وفي عاصمة ملكه ، فان الناس حارته وحالته ، وقلة ما كسبه واخرى قاسطة ، وطائفة مارقة . وراية معتزلة ، وما استطاع ان يجعل الكوفة طيبة وهي عاصمة حكمه . فكيف بالمدائن الاخرى . واثنية منها خاصة . ليس هو انما في عهد سلطانه لو استوت قدمي من هذه المداحص اغيرت اشياء ، وهو انما في لو نيت لي لوسادة لاقتبت أهل التوراة بتورانهم وأهل الزبور بزبورهم ، وأهل الاجيل فأنجيلهم وأهل الفرقان بفرقانهم

إذن فلا بدع لو قال الناس ما لفائدة في صحت مثل هذا الامام للناس وهو لا يقوى على اصلاح الناس ومصاهة حكماء اشرعيه . لانه ممنوع عن التصرف ، مصادود عن تنفيذ الاحكام والعمل بالشرعية .

ولكن اخري ان يكون هذا الاعتراض على الله جن شأنه دون لشيعه الامامية فيقال عليه : أية حدود في جعله لشرع والاديان فيما سبق ولحق وهي معطلة لم تستند على حدودها وقيودها . وأية فائدة في ارساله الرسل حتى بلغوا ١٢٤ الفا وقد قضى اكثرهم قتلًا وسجًا وطردها ونشرداً ، من حتى اولو الحرم منهم ، فاتهم ذاقوا عصص اجور والاضطهاد من جراء الدعوة ، فسل بوحاً عما لي قبل الطوفان ، وابراهيم عن نار عمود وميجى عن لهار ، وعيسى عن بكاية بني اسرائيل ومحاولتهم صلبه

النفسية ، وصفاته القدسية . اهلا لتلك المنزلة ، وقديراً على انهبوض بهذا العبء الباهض ، وان ينص عليه اسماً ونسباً وقبيلةً وبتناً ، وان يقدره على الانيان بالمعجر متى اقتضت الحاجة . وان يأمر الناس بطاعته ، ويحذرهم من مخالفته . وهذا كله قد كان منه حين شئبه . وعظمت حاجته .

واما كافي فهو ان يقل الامام تلك الامامة . ويحتمل اعاء هذه الرعامة وهذا قد قام به الامام ، والآثار تشهد بهذا القول . وذلك التحمل وقد تصدى ما استطاع لاداء ما احتمله ، واقيام لما نصب له من الهداية والاصلاح .

وكفى مهمم دلالة على لقيام هذا لعرض أمير المؤمنين عليه السلام وكفت منه موقفه المشهودة ، ومشاهدته المعروفة ، فهو اعاهد سمائه ولسانه . واعماله وقواله ، وهل احد مثله كان مثالا للصلاح والاصلاح والرشاد والارشاد . ونصح الامة . واجتهاده على سلوك سبل الهداية والفلاح ، وما حيلته اذا احتالت الناس محتدة في ان تحفه .

ولم تسمح لطروف لغيره مهمم في ر يحاهد بالساد الاسيد الشهداء عليه السلام . فكيف نراه وقد رأى ر الدين بسعوه لان يصحى نفسه الركبة ، ونموس عترته وصحبه . ادين لسن له على وجه الارض شيه ومن بقوى على ذلك الفداء سواء يقتل نفسه ونموس تلك لصقوة الطيمة ليحى دين . وبترك عية وجلها صدية صهر . وهم انهم هذه يطاف بهم المحلس وليد وللملاد ، كل ذلك ليعلم الناس ان هذا اسي ولسب والاسر والصرب . وذلك اقتل لقطيع . ويقاه خئت صرعى ثلاثاً على لصعيد . من أجل بصرة الحق وأهل الحق ، وخذلان لاطل وأهل لاطل واما الائمة بالقون فلا تعرف جهادهم بالقول والعلل دون ان تعرف احوالهم ، وتستقرى سيرتهم في الارشاد والصبح . ومن هذه السيرة يتحلى بك ما هم عليه من المريرة ، ومن احوالهم واعمالهم تتعرف خصالهم ، وما امتاروا به من جليل الفضائل ، وقد اشرنا قريباً الى بعض المصادر التي

ترشدك الى جهادهم في لصيحة والاصلاح ، واحتجدهم في حمل الامة على الهداية والسعادة .

واندي يهديت لي مامحوا به من تلك الصفات والسمات ان الامة اجتمعت على فضلهم ، وجمال السيرة والسريرة فيهم ، حتى من لا يرى لهم امامة ولا يعترف لهم بتلك الرعامه ، وايس من اجتمعت عليه انكلمة في الامة سوامم وامر لث . فهو ان نقبل الدس قول هذا الامام ونطيع امره ، كما يجب عبيها ان نطيع الله تعالى و نطيع الرسول عليه وآله لسلام « يا ايها الذين آمنوا طيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » بل لانكوف طاعة لله تعالى ولا برسول بدون طاعة الامام . لان الامر بطاعته جاء مقروداً بالامر بطاعة الله وطاعة الرسول . ولان امره وبو هيه جائية من قبله سبحانه ومن قبل الرسول عليه وآله السلام ، ولانه لا يامر لا بطاعة الله عز وجل وطاعة الرسول ، من لم يطعه لم يطع اجيل ولا رسول ولا يحل المسلم انه يستطيع ان يطيع الله والرسول بدون طاعة الامام لان طاعة الامام اى وجهت انكونه لم رشد اهادي . وامين بلحق وسبل ارشاد فلا يقدر أحد ان يعمل نتواميس لشرعية بدون اشاراته وارشاداته حل الناس بها وعامه واختفاء كثير من طرق الهداية عليهم وطهورها لديه من اعرض عنه وعمل بالشرعية والدين بريه وقع في مهاوي لعصيان كثيراً وخرج عن مباحج اهدي احياناً ، فكيف يطيع الله كما يريدته تعالى وصدع به سيد الرسل وهو قد جامعها في احكام دين ، وفي امثال امر الامام حاصة وهذا الواجب اعني طاعة الامام لم تقم به الامة . ومن الذي عمل من اساس بطاعة هؤلاء الائمة في ايامهم ، وانما اطعوا ملوك عصورهم في محاربة هؤلاء الائمة المعصومين ، وكيف يؤدي الامام منهم وظائف امامته ويصبح شأن الدس ، والناس عاصية له ، بل وقد قاومته بدلا من ان تنقاد اليه وحارته عوضا من ان تستسلم له ، وفات لناس اهم خسروا الهدي والعلم والسعادة حينما خسروا ارشاد هؤلاء الائمة ، وانهم لم يظفروا بطاعة الله

وطاعة الرسول عند ما عصوا هؤلاء الهداة الادلاء ، والخجج الاوصياء .
نعم كان هؤلاء الائمة - عند ما اجمع الناس على خدلاهم - يتنهرون
الفرص لنشر الاصلاح ، وتبث الرشد . وكانوا من الرماح المشرعة اليهم
والسيوف المنتصبة عليهم ، وبين ظلم السجون ، ورصد اعيون ، تسير
مهاجمهم الاصلاحية ، حتى اوجدوا بذلك احد واحدا وثمة هي شطر
المسلمين اليوم ، تهول امامتهم ، وتستبشر هدهم ، وتسير على صوة تعليمهم
فكان منع اللطف لهم - وهو تصرف ناس لا يصحهم - من الناس
انفسهم ، لا من الله تعالى ، ولا من الامام ع ، فثبت حيلة الامام اذا
اجتهدت الناس في عصيانه .

وهذا عين ما كان مع الانبياء السابقين الذين معتهم لأمم عن تادية
رسالاتهم ، وحالت دون قيام بصحتهم واصلاحهم ، بل وعس ما وقع
مع نبينا الصادق الامين صلى الله عليه وآله وسرايه دعوته بمكة المكرمة
ولم تمنعه قريش عن تادية الرسالة فقط ، بل ارادوه من لاذي . وصوروا
من الاضطهاد ، حتى حضروه وانفذتهم في شعب ابي لهب ثلاث سنين
وكنى بهذا الحصار ايذاه وجوراً .

فهل يستطيع أحد ان يقول : ان الله حل شئ غير حكيم ولا لحيث
في بعثه لاولئك الرسل ولبيده المصطفى ، وان الانبياء غير باهين باعاء
الرسالة ، ولا مؤدين وطائف سموة ، حين حالت لئس دون ادائهم واجب
الهداية والصح . وورض الاصلاح وتعليم ، تعالى الله عن ذلك علواً
كبيراً ، وكرم انبيائه كراماً مبيناً .

فما يراه المصوم من الجواب عن شأن الانبياء ، عليهم السلام ومنعهم
عن لقيام باداء الرسالة وهو احوال عما يقال في شأن الائمة من أهل البيت
الذين قبضهم الله تعالى اليه والعذب المنتظر عليهم السلام . ومن ثمة تعرف
ان غيابه لا يضرب في تحمله لابعاء الامامة ، وتصديه للقيام بوظائف هانئت
الرعاية ، ما دام المانع عن تصرفه ، والحجب عن تفهه للناس ، من الناس

انفسهم ، فإذا عليه اذا كانت الحيلولة دون اداء وظائفهم منهم لامنه ، وقد ذهب عن الخصوم — ولعله لم يذهب — ان في الإمامة لطفين ، لطفاً في نصب الإمام ، ولطف في تصرفه ، وكلا اللطفين من مصلحة لباس انفسهم فاذا فات اللطف الثاني لم نهت اللطف الاول . فالإمام الغائب قد احرر اللطف بوجوده ، ووجوده كما شاء الله حجة على العباد ، وبقاؤه استمرار في الحجية ، فإدام حياً باقياً يكون دليلاً على الهدى وعلماً رفيعاً على ارشاد ، وتكون لله حجة بالعبادة به على الناس .

ولادة الإمام الثاني عشر وحياته

ولما انتهى بالكلام الى الإمام الثاني عشر ، الذي قالت الشيعة بولادته وحياته ، كان الجدير ان نشير الى الخواب عما يقول خصوم الشيعة من التشكيك في هدين الامرين معاً ولادته ونقائه الى اليوم حياً .

والخواب ان يقول : لقد برهنت الإمامية على ولادته واستمرار حياته بالادلة القاطعة ، ورويت عن حادثة العلماء من أهل السنة الاعتراف بها معاً ، ولو اردنا ان نورد تلك الكلمات وهاتيت لبراهين العقلية لخرجنا عن دائرة الابهار المقصود ، نعم نغنيا عن هذا كله ما سبق من الطريق العقلي ، ونخصه لك بكلمات تصيب شاكلة لعصده فأقول :

لما كان لعلم في حاجة الى الامام المصالح المصالح ، لان الكتاب والسنة غير واقعيين سوق الناس الى سن الطريق ، ولو كانوا واقعيين لما اصبح الناس مدهاه متشعبة ، وقرافاً مقشقة ، كان على اللطيف سبحانه ان يهتد للنامة ومن الامة من يقوى على سوفهم الى الهدى والصالح ، وصدعهم عن الضلال والفساد ، لو اطاعوه ، وهذا لا يحتص بعهد و زمان ، فالإمام الصالح لهذه المهمة الكبرى واجب في هذا اليوم ، وهل ياترى يوجب اللطيف تعالى عليه أمراً لطفاً بالعباد وفيه صلاحهم وهداهم ولا يوجد ، فالإمام

الموصوف موجود هذا اليوم لا محالة ، من هو ذلك الامام الموجود في هذا اليوم .

ومن المستحيل عليه جل شأنه ان يجعل اماماً على لباس يحق عليهم اسمه ونسبه وقبيلته وبيته ، ويكلفهم معرفته وطاعته . وكيف تقوله الحجة على لباس امام مجهول ؟ انه تكليف بما لا يطاق ، وحجة غير واضحة ولا بالغة ، وليس اليوم وقبل اليوم احد يعرف دعيت فيه لامامة ، ولا ظهرت دلائل على مدع لها ترشد الى ثبت لكفيتها ، ولو كان ثمة احد بهذه الصفة لما خفي حاله وجهات الناس امره . فلما لم يكن أحد يعارض هذا الامام الذي ادعت الشيعة ولادته ودوام حياته نعين ان يكون هو الامام الموجود في هذا العصر ، وهو الامام المهدي بن الحسن العسكري محل الله ورجه .

ولا يكون الامام المهدي حياً موحوداً الا ان يكون مولوداً ولو لم يكن مولوداً عند وفاة ابيه العسكري عليه السلام من هو الامام بعد الامام العسكري الى حين ولادة هذا الغائب ، إذ لا يجوز ان يحل زمان من امام عادل مصبح ودليل مرشد مفصوم عن الرأى والخلل . كما اوضحناه آنفاً .

على ان الامام المهدي الذي سوف يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظاماً وجوراً . متفق عليه بين فرق المسلمين ، سوى ان بعض الفرق تذهب الى به ما ولد وانه سوف يولد ويصعبه الى انه مولود موجود غير انه ليس بان الحسن العسكري ، وقد عاصد الدليل رأى لشيعة ومدهم في ولادته ووجوده حياً الى هذا اليوم ، وانه بن الحسن العسكري عليه وعلى ائمة السلام . وقد اوضحنا في ان وجود الامام لابد منه في لباس ون العائلة من وجوده اقامة الحجة به عليهم ورعايته للامة ، وبه تقطع حجة الناس على الله تعالى فيما لو ادعوا اهلهم من نصب الحجة الدليل والمصلح الناصح .

واما عدم الانتفاع به لنفع لظاهر فلا يعارض المطلب في نصبه ، لان

صده عن اداء وظائفه كما عرفت ما جاء الا من قبل الامة نفسها . لا من الله سبحانه ولا من الامام نفسه .

واذا قال انك قل : لم لا يظهر ليوم لاصلاح لباس وهم في حاجته فيقال له : ان السبب الذي حجب عن العيون هو الذي يدعوه الى استمرار الحجب . ومن اين يعتقد بان لباس نظيفه لو ظهر اليوم . وحاجهم مع ثابته معلوم . ومع أمير المؤمنين عليه السلام من اول يوم بعد الرسول عليه وآله السلام معروف .

على ان معرفة الوقت الملائم لظهوره عيب راجع الى الله تعالى وهو اعرف به . واذا كان حقاً ان الامام هو ابن الحسن العسكري « ع » كان نقاؤه مستوراً و ظهوره مشهوراً يرجع اليه عرشه ، والامام « مور لا يحجب ولا يظهر بدون امره سبحانه . ف انويلنا انك الا تحركات وعراض على حكمته تعالى . يستغفره ويتوب اليه ، راجين منه لثبات على دمه . و صر على ثلاثة . اكرم مسؤول واقرب بحجب هذه خلاصة ما ذهبت اليه شيعة الامامية في الامة مع التلويح الى موحر الرهد اعقلي ، لنتظ ليعرف بان حقاً ما تعتقده الشيعة في الامام وترويه فيه من تقدم . سئل اني حل وغلا ديعلم . حالصة لوجهه الكريم وان تكسب رضى ارباب الصغر ويعارف . فان قصد بهت المس في كرامة قوم و امة تحزين .

وقد شرعت في تيم هذه ارسائه في اصف من شوال عام ١٣٦٣ و انتهت منها في ١٦ ذي القعدة من نفس السنة الهجرية على مهاجرها وآله افضل الصلاة والتحية .



BP166

.94

.M89

1951

c.2

Princeton University Library



32101 099844266